البحوث والدراسات

الشكل المعماري بين التوجه الرأسمالي والحاجة الثقافية: دراسة لدولة الإمارات العربية المتحدة

د. مشاري عبدالله النعيم*
د. محمد بن عبدالله جكة المنصوري**

ملخص:

خصوصية المدينة الإماراتية تتمثل في سرعة نموها وتحولها إلى مدن كونية، وهذه تعتبر إشكالية في حد ذاتها قد تفرز عمارة غير مستقرة بصورة كافية وغير مرتبطة بالصورة الذهنية المحلية أو الإقليمية، ولعل هذا يفرض بعض الأسئلة الضرورية مثل: ما المعاني الجديدة التي تقدمها العمارة الجديدة في دولة الإمارات، وهل يمكن أن نقول: إن هذه العمارة تعبر عن هوية المجتمع الإماراتي في بداية الألفية الثالثة؟ كما يمكننا أن نبحث في الصورة الاستهلاكية التي تدفع بها عمارة "المضاربات" التي جعلت من المدينة الإماراتية قناة رأسمالية كبيرة. هذه الدراسة تحاول أن تبحث في الإشكالات المعاصرة التي تفرضها المشاريع العقارية الجديدة والكبيرة في دولة الإمارات وتأثير هذه المشاريع على الهوية الجماعية الحسية لدى المجتمع الإماراتي، كما أن الدراسة تفترض أن هناك انفصالات بين شكل المدينة ومجتمعها في الإمارات، وأن هذا الانفصال هو الذي يغذي الإحساس الدائم بغياب الهوية العمرانية. كما تؤكد الدراسة تلازم "الشكل والمعنى" وما يفرضه هذا التلازم من قراءات متعددة (سياسية واجتماعية واقتصادية وتقنية وتاريخية) للشكل المعماري وشكل المدينة، وهو ما قمنا به بشكل أو بآخر.(١)

---

* دكتوراه في العمارة، جامعة نيوكاسل أبون تايم، المملكة المتحدة، عام ١٩٩٨م، وأستاذ مشارك للنقد المعماري، قسم العمارة، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك فيصل، الدمام، المملكة العربية السعودية.

** دكتوراه في العمارة، جامعة نيوكاسل أبون تايم، المملكة المتحدة، عام ١٩٩٨م، ومدير دائرة الهندسة والمشاريع، شركة أدنوك للتوزيع.

(١) **Al-Naim, M.** (2005), Political Influences and Paradigm Shifts in The Contemporary Arab Cities: Questioning the Identity of Urban Form, CRiSSMA Working Paper N.7, Milan,, Italy, Pubblicazioni dell'I.S.U. Universita Cattolica.

١- مقدمة:

البحث عن تحول الشكل المعماري عبر الزمن ينطلق من مفهوم أن العمارة تتجاوز طمأنة الحاجة الوظيفية عند الإنسان إلى غايات تتعدى الحدود الزمانية والمكانية حتى البيولوجية لوجود الإنسان ذاته. فعندما تبحر العمارة عبر الزمن تعطي بذلك تصوراً كاملاً بأن الإنسان كان هنا ورحل؛ إذ لا بد أن يغادر الإنسان هذه الدنيا ولكن أوابده المعمارية ستبقى شاهدة على وجوده. الزمن يمثل البعد الرابع في البناء، فعلى المستوى الجماعي تمكن العمارة المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية وحفظها والمحافظة عليها وتخليدها، وذلك على الرغم من عيش الأجيال اللاحقة للجماعات الإنسانية في عصور غير عصورها وأمكنة غير مكانها نتيجة لكون القيم المرتبطة بالعمارة تستمر حاجة رمزية تضمن الاستمرار لتلك المجموعات.(٢)

إننا من خلال تعاملنا مع البعد الرابع للعمارة نمتد بأحاسيسنا إلى الخلف إلى التاريخ، وإلى الأمام إلى المستقبل في محاولة لربط الماضي بالحاضر والمستقبل. لذلك فإننا عندما نتحدث عن العمارة المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة لا يمكن أن نتجاهل الزمن، ولا يمكن أن ندير ظهورنا للماضي، ونغطي أبصارنا عن المستقبل. فالماضي والمستقبل لهما الحضور نفسه في عمارة الحاضر. ننطلق من التاريخ لنحاور المستقبل؛ لأن العمارة لابد أن يجتمع

(٢) للمزيد من التفاصيل يمكن العودة لدراسات سابقة للباحثين حول العمارة المعاصرة في دولة الإمارات: **المنصوري، محمد عبد الله والنعيم، مشاري عبدالله**، (٢٠٠٥م)، "العمارة الحديثة في الإمارات: دراسة لبداية التحول في المدينة الإماراتية قبل تأسيس الدولة"، مجلة العمارة والتخطيط، جامعة بيروت العربية، المجلد ١٦، (أبريل ٢٠٠٥م)، ص ص ٨٣ – ١٠٠، **النعيم، مشاري عبدالله والمنصوري، محمد**، (٢٠٠٦م)، "تشكيل المدينة الحديثة وبناء الهوية الوطنية: دراسة لعلاقة السياسة بالعمارة في الإمارات العربية المتحدة"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد ٤، المجلد ٣٤ (أبريل – يونيو)، ص ص ٢٧٣ – ٣٠٥.

فيها الماضي والمستقبل حتى ولو كانت صنعت من أجل طمأنة حاجة ملحة في الوقت الحاضر.

الحركة على مستوى الشعور قد تكون مطلباً معمارياً رمزياً في وقت بدأ يتحرك فيه كل شيء. ولكن ماذا لو كانت الحركة فعلية تحدث كل يوم، تتبدل فيها الصور في كل حين، ويتغير فيها المحيط العمراني بسرعة ملحوظة، تتقزم فيها مبان كانت عملاقة بالأمس، ويمتلئ فيها فضاء كان مفتوحاً على السماء. الحركة في المدينة الإماراتية المعاصرة يشعر بها كل زائر لها، وعندما يغيب ولو لفترة وجيزة لابد أنه سيجد خط السماء قد تغير، ولا بد أنه سيرى خلفية سماوية جديدة غير تلك التي رآها من قبل. فسماء دبي التي كانت تشكلها قبل ٦٠ عاماً أبراج الهواء (البارجيل كما يسمى في الإمارات) التي تعلو المساكن المتواضعة في حي الشندغة والبستكية تحولت تلك السماء الوادعة إلى غابة مكتظة بالأبراج وناطحات السحاب. وكما يشير الدكتور عبدالخالق عبدالله إلى أنه لا يوجد مدينة أكثر اندفاعاً من دبي؛ فهي دائماً تسعى نحو تحقيق الأضخم والأكبر والأطول والأسرع.[٣] فعندما يتحرك البناء في صورته الكلية – كما هو الحاصل في سماء دبي – فإن شعوراً عميقا بالتحول يسيطر على ساكن المدينة، يبدأ أسئلته اللانهائية عن ذاكرة المكان وتتبدل الصورة الانطباعية، التي يبنيها لمدينته، كل حين. هذا ينطبق على العاصمة أبوظبي التي صارت تتحول بسرعة كبيرة في الفترة الأخيرة حتى إن جزرها المتناثرة أصبحت مشاريع استثمارية عقارية بحجم مدن صغيرة؛ الأمر الذي يشير إلى التحولات "العولمية" التي ستشهدها أبوظبي في القريب العاجل. والذي يبدو لنا أن المدينة الإماراتية وهي تسافر عبر الزمن، تحاول أن تترك أثراً في كل مرحلة زمنية تمر بها، كما أنها تتمسك ببعض ملامح الزمن وآثاره، فعلى الرغم من الاندفاع إلى الأمام الذي يميزها فإنها مدينة تصرخ مطالبة بحضور التاريخ والتعبير عن روح العصر.

(٣) عبدالله، عبد الخالق، (٢٠٠٦م)، دبي: رحلة عربية من المحلية إلى العالمية، مجلة المستقبل العربي، يناير ٢٠٠٦، العدد ٣٢٣، السنة الثامنة والعشرون.

١-١- معانٍ أولية في العمارة الإماراتية:

مثل ما ارتبط إنسان الإمارات بالبحر ارتبطت المباني المرتفعة بالواجهات البحرية في الإمارات. في دبي ارتفعت المباني على ضفة خور دبي جهة بر ديرة وشكلت المباني خط السماء في خور دبي (شكل رقم ١). في الشارقة استدارت المباني ببحيرة خالد لتعيد تشكيل خط سماء المدينة خلال التسعينيات من القرن الماضي. وفي مدينة أبو ظبي كان خط السماء على "كورنيش" أبو ظبي – الشاطئ الشمالي الغربي للجزيرة – يشكل خط سماء المدينة خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين (شكل رقم ٢). لأنها جزيرة فالبحر عنصر رئيسي ومباني الواجهات البحرية – خاصة الشمالية الغربية – مركز الجذب البصري منذ تكوين المدينة الحديثة.

شكل رقم (١) – خور دبي

شكل رقم (٢) – كورنيش مدينة أبوظبي

العمارة في الإمارات تصنع رواية خيالية حيث تتحول فيها صور الصحراء القاحلة والبحر القاسي ومساكن أقرب إلى العشش ونساء ورجال كان يلف وجوههم البؤس، إلى مدن عملاقة تتناطح فيها الأبنية متجهة للسماء وغابات خضراء ورجال ونساء تظهر عليهم مظاهر الغنى. البحر القاسي تحول إلى موانئ ومرافئ وواجهات بحرية تعبر عن الحداثة التي تعيشها الإمارات حالياً. ثلاثة عقود هي الزمن الذي تتحدث عنه الرواية الإماراتية المعاصرة، أو أسطورة التحول من الفقر إلى الغنى، ومن الأمية إلى المعرفة، ومن البدائية إلى ذروة التقنية. التحول والتغير السريع خلال فترة زمنية قصيرة كان إحدى سمات المدينة والعمارة الإماراتية وهو تحول لابد أن يفرز أنماطاً عمرانية واجتماعية غير متزنة. على هذا الأساس تسعى هذه الدراسة لرصد هذه التحولات وما صاحبها من محاولات لتأكيد هوية محلية مازال يثار حولها كثير من الأسئلة.

المدن الإماراتية في بداية التحول تعطينا الإحساس بأنها مدن تولد من جديد، تخرج للحياة مدناً تقدم أسلوب الحياة المعاصرة لمجتمع يحاول أن يتشكل من جديد ودولة وليدة تحاول أن تصنع هوية وطنية تعبر عن الحياة الجديدة. إن المراقب لتطور العمارة الإماراتية سوف يجد اختلافاً متلاحقاً "لحظوياً" في البيئة المبنية والبصرية غير مسبوق في تاريخ التطور وعمليات التحديث التي تمر بها المدن عبر العصور. فخلال الفترة من منتصف الستينيات من القرن العشرين وحتى هذه اللحظة مازالت معالم تلك العمارة في تغير مستمر، خط السماء فيها لا يهدأ أبداً، في حالة تحول مستمر، تتحول معه خلفية المدن، ويتغير معه المجتمع الإماراتي وتتبدل فيه أشياء كثيرة، أهمها على الإطلاق صورة المدينة الإماراتية، طرقها وصورة المكان فيها (الشكلان رقما ٣، ٤).

شكل رقم (٣) – خريطة لمدينة دبي توضح بعض المشاريع التي تناولتها الدراسة

شكل رقم (٤) – خريطة لأبوظبي توضح بعض المشاريع التي احتوتها الدراسة

هذه الدراسة تحاول أن تبحث في المعاني التي ارتبطت بالشكل المعماري في المدينة الإماراتية خلال العقدين الأخيرين. الهدف هنا فهم حركية الشكل المعماري وبحثه عن بعض الاستقرار في العمارة الإماراتية والعوامل التي أدت إلى تحول الأشكال العمرانية أو ثباتها خلال فترة الدراسة. ويمكن اعتبار هذه الدراسة محاولة لفهم التصادم الذي يحدث عادة بين الحاجة الثقافية والحاجة الوظيفية، وكيف أسهم هذا التصادم في صنع هوية العمارة الإماراتية. هذه القراءة تتميز: **أولاً** – بكونها تحمل أفكاراً ثابتة تشكل المنحى الثقافي للمجتمع. **ثانياً** – بأنها تحمل تفسيرات لهذه الأفكار الثابتة تتجدد مع كل حقبة زمنية؛ مما يجعلنا نعتبر الأشكال المعمارية الناتجة عن هذا التصادم قراءة جماعية للتاريخ تعبر عن رؤية الجماعة لتاريخها ولدورها في صناعة هذا التاريخ. هذه القراءة لا ترمي إلى كشف الجانب التاريخي للأشكال المعمارية بل تسعى إلى تفسير هذه الأشكال في الحاضر والمستقبل. فالجماعة في رؤيتها للحدث التاريخي تقفز فوق التفاصيل وعلاقات الزمان والمكان، ولا تهتم إلا برسم صورة كلية ملأى بكل الرموز والقيم الاجتماعية.(٤)

١– ٢– هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى رصد التحولات العمرانية التي حدثت في الإمارات خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة، وبالتحديد بعد حرب الخليج الثانية (تحرير الكويت)، هذا بالإضافة إلى البحث في بعض المشكلات العمرانية التي تعانيها مدن الإمارات في الوقت الراهن خصوصاً المد الرأسمالي ونمو ثقافة الاستهلاك وتقويم العمارة التي صاحبت هذا المد والمعاني الجديدة التي شكلتها، وهل هي معبرة عن هوية المجتمع الإماراتي حالياً أم أنه يجب علينا مراجعة تلك الأشكال؟ وتثير الدراسة مجموعة من الأسئلة حول العمارة في الإمارات هي:

(٤) النعيم، مشاري عبدالله، (٢٠٠٤م)، "الثابت والمتحول: نحو نظرية نقدية للعمارة العربية"، البناء، العددان ١٧٠، ١٧١، أكتوبر – نوفمبر، ص ص ١٥٤ – ١٦١.

- كيف تشكلت العمارة الجديدة في مدن الإمارات خلال العقود الثلاثة الأخيرة؟
- ما أوجه الصراع التي واجهتها عمارة الإمارات في تحولاتها نحو "المدينة الرأسمالية"؟
- ثقافة الاستهلاك وبروز "العمارة الاستهلاكية" والمشكلات التي صاحبت هذه الثقافة؟

والحقيقة أن هناك أسئلة مهمة وجوهرية تحاول الدراسة تناولها بأشكال مختلفة إلا أن مجال الدراسة لا يتسع للإجابة عن كل هذه الأسئلة على أمل أن تتاح في المستقبل الفرصة كاملة لإجراء دراسة نقدية موضوعية لعمارة الإمارات خلال العقد الأخير لما حدث فيه من أحداث جسيمة غيرت من وجه المدينة الإماراتية وأدخلتها في تحديات لم تعهدها من قبل، خصوصاً تلك المرتبطة بالعولمة وثورة الاتصالات، لذلك يمكن اعتبار هذه الدراسة مقدمة لدراسة أكثر تفصيلاً حول المدينة والعولمة في الإمارات العربية ودول الخليج.

١-٣- منهجية الدراسة:

هذه القراءة لتحولات العمارة سياسياً وبصرياً تتشكل عبر البنية الرمزية التي تمارس من خلالها الجماعة - بوعي ودون وعي - أنماط الحياة اليومية. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتميز بنسق معقد يسميه علماء الاجتماع "بنسق عالم الرموز" الذي يتكون من اللغة المنطوقة والمكتوبة والقيم والمعايير الثقافية والمقدرة على التعامل مع أدوات المعرفة والعلم.(٥) لذلك فإن دراسة هذه الشبكة المعقدة من المعاني تتطلب معرفة وثيقة بدقائق الحياة اليومية، وربما معايشة الأحداث، كما هو الحال في كثير من الدراسات الإنثروبولوجية.(٦) على

(٥) الذوادي، محمود، (١٩٩٧م)، "في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية، عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث (يناير / مارس)، ص ص (٩ - ٤٣).

(٦) النعيم، مشاري عبدالله، (٢٠٠٥م)، العمارة والثقافة: دراسات نقدية في العمارة العربية، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (١٣٧).

أننا في هذه الدراسة سوف نتحدث عن كيفية تحليل تحولات الشكل المعماري وتأويلها في المدينة الإماراتية المعاصرة من خلال استعراض بعض المناهج والنظريات الخاصة بدراسة المعنى في الثقافة المادية، وهو ما يمكن أن نسميه المنهج الإثنوغرافي. يرتكز هذا المنهج على الرغبة في معرفة الدلالات والمعاني التي التصقت بالتراث المادي من خلال العلاقة التاريخية بين الإنسان والأشياء المحيطة به في منطقتنا الخليجية. وسوف ننطلق من ثلاثة اتجاهات حددها (ربابورت) **Rapoport** لمعرفة المعاني التي يولدها الناس في بيئاتهم المادية وتتبعها خصوصاً البيئة العمرانية، هذه الاتجاهات هي السيميائية **Semiotic** والرمزية **Symbolism** والاتصال غير الشفهي **Non-Verbal Communication**[٧]

وقد اتبع الباحثان أسلوب التحليل النقدي المعماري المكون من أربع خطوات أساسية للوصول إلى تصور شامل عن كل مشروع معماري. هذه الخطوات على النحو الآتي (انظر إلى شكل رقم ٥):

أ – العرض: ويتم هنا عرض المشروع ومكوناته الفراغية والبصرية بأسلوب وصفي أو تاريخي (وقد قام الباحثان بعرض جوانب تاريخية ووصفية للعديد من العلامات المعمارية في العمارة الإماراتية الجديدة).

ب – التفسير: وفي هذه الخطوة يكون هناك محاولات لوضع بعض التفسيرات التاريخية أو الجمالية وحتى الاجتماعية والتقنية للمشروع المعماري.

جـ – التحليل: ويكون التركيز هنا على تحليل عناصر العمارة الفراغية والبصرية والتقنية ومقارنتها بالعناصر المشابهة في أماكن أخرى.

د – إصدار الحكم: وهنا يتم الحكم على العمارة وعلى قيمتها الثقافية والفنية.[٨]

---

(٧) **Rapoport, A.** (1982), The Meaning of the Built Environment: A Nonverbal Communication Approach, Tucson, The University of Arizona Press, p. 35.

(٨) جدو، ينار حسن، (١٩٩٣م)، المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة: بحث في مناهج النقد المعماري، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

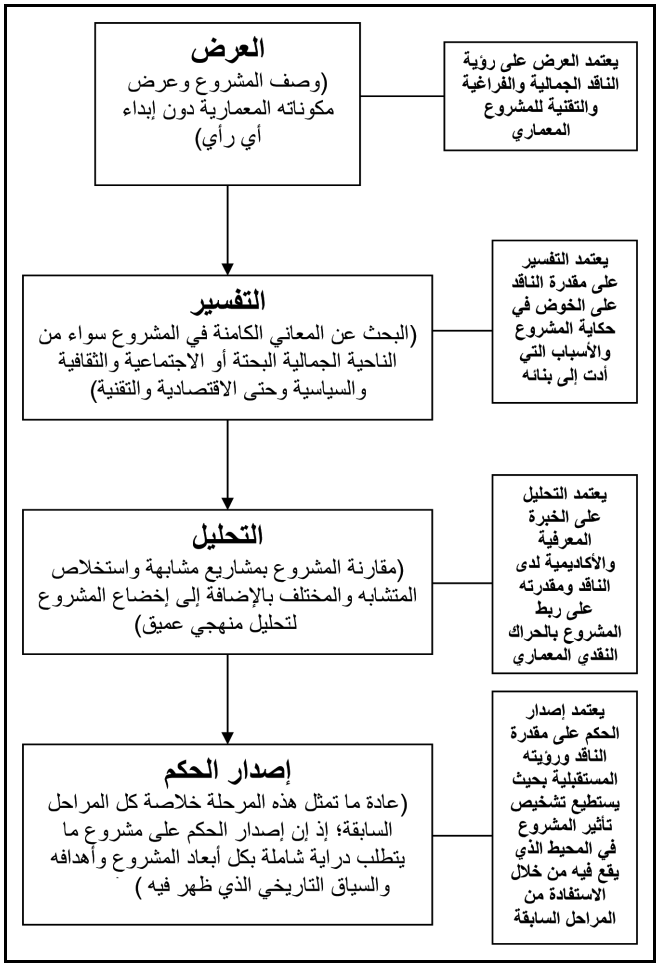

شكل رقم (٥) – خطوات نقد المشاريع المعمارية

٢- الشكل والمعنى في العمارة الإماراتية – مقدمة نظرية:

يجب أن نؤكد هنا أننا نسعى إلى فهم العلاقة بين المادي والثقافي وتأثير هذه العلاقة على الشكل المعماري الذي أفرزته التطورات الأخيرة التي عاشتها المدينة الإماراتية، وسوف نعتمد في تحليلنا لهذه العلاقة على العديد

من الدراسات التي طورها مجموعة من الباحثين في علوم اللسانيات، كون هذه النظريات استخدمت في وقت مبكر لدراسة المعنى والرسائل البصرية التي تدل عليها الأشكال المعمارية بصفتها أشكالاً ثقافية تشكل البيئة من حولنا. وقد وضعنا في اعتبارنا أن هذه الأشكال تعبر بعمق عن الحراك الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي، وأن تفكيك المعنى هنا يقتضي فهم مدلولاته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية؛ أي أن الشكل المعماري في جوهره ذو معانٍ مركبة ومتداخلة مما يقتضي تحليلاً عميقاً للمدينة ومتجهها المعماري في وسطها المجتمعي ومحتواها المادي، وهو ما تهدف إليه هذه الدراسة.

الاتجاه السيميائي يستخدم على نطاق واسع في الدراسات اللسانية. فيذهب (فيسك) **Fisk** إلى أن هناك طريقتين يحدث من خلالهما الاتصال بين الناس، أولاهما ترى أن عملية الاتصال عملية متسلسلة **Process** من خلالها يقوم شخص ما بالتأثير على خيال الآخرين وسلوكهم. أما الطريقة السيميائية، وهي الثانية، فمن خلالها يتم إنتاج المعاني وتغييرها. الطريقتان تتفقان على أهمية الاتصال بوصفه أداة للتفاعل الاجتماعي، لكن كل واحدة منهما تفسر هذا التفاعل بطريقة مختلفة. فالطريقة الأولى ترى التفاعل الاجتماعي علاقة بين شخص واحد والآخرين بينما الطريقة السيميائية ترى التفاعل الاجتماعي ظاهرة موجودة بين الأفراد في ثقافة محددة.(٩)

ويمكن تفسير ما يحدث في المدينة الإماراتية (من الناحية النظرية) من خلال هاتين العمليتين؛ إذ إن العملية الأولى تمكننا من فهم للتسلسل والتراكم للمعاني التي أحدثتها العمارة الحديثة في المدينة الإماراتية. أما العملية الثانية فتهتم بإنتاج المعاني الجديدة في المدينة؛ فمثلاً مدينة دبي قبل عام ١٩٩٠م وبعده مرت بتحولات عميقة في المعاني التي أحدثتها التطورات العمرانية التي

(٩) **Fisk, J.** (1990), Introduction to Communication Studies, London, Routledge, p. 39.

حدثت بعد ذلك، فقد أصبحت المدينة مركزاً عمرانياً ينظر له على أنه مركز "كوني"، وأصبحت دبي مدينة "معولمة" **Globalised city**، ومع أن دبي كانت تعبر عن الحداثة قبل عام ١٩٩٠م فإنها لم تكتسب هذا المعنى الجديد إلا بعد التحولات الكبيرة التي مرت بها في التسعينيات من القرن المنصرم وحتى اليوم.

لقد ذكر الفيلسوف الأمريكي (بيرس) **Peirce** ثلاثة عناصر متداخلة لفهم كيفية عمل المنهج السيميائي؛ هذه العناصر هي: العلامة والتعبير والموضوع. فالعلامة **Sign** شيء ما له علاقة بموضوع غير ذاته **Object** وتفهم من خلال التعبير **Interpretant**. أما عالم اللغويات السويسري (دو سوسير) **De Saussure** فقد حاول أن يفسر علاقة العلامات بعضها ببعض بدلاً من علاقتها بالأشياء؛ ذلك أن العلامة بالنسبة له شيء مادي ذو معنى محدد. ويقسم (دو سوسير) العلامة إلى دال **Signifier**، وهو صورة العلامة التي ندركها بحواسنا، ومدلول **Signified** وهي الفكرة الذهنية التي تتضمنها العلامة.(١٠) ويرى مناطقة العرب أن الدلالة تقوم على علاقة مزدوجة بين الدال والمدلول من جهة وبين هذين معاً وبين المدرك من جهة أخرى، وهو ما أشار إليه (بيرس)؛ فالعلاقة بين العلامة والموضوع تتم عبر التفسير الذي يعطيه الشخص المدرك للعلامة، وهو ما يسمى بالمعنى(١١) وبهذا تصبح العلامة لا قيمة لها إذا لم يكن الشخص المدرك على وعي بدلالاتها والمعنى الذي تريد أن توصله.

هذا يجعلنا نثير مجموعة من الأسئلة حول كيفية فهم ساكن المدينة الإماراتية للمعاني الجديدة التي أحدثتها التطورات العمرانية؛ إذ إنه لا قسمة للأشكال الجديدة إذا لم تتحول إلى معانٍ "محلية" يستوعبها المواطن العادي، وبالتأكيد فإن المعاني المحلية لابد لها أن تتطور وتتغير حتى تكون قادرة على

---

(١٠) **Fisk, J.** (1990), Op. Cit., p. 44.

(١١) زيادة، معن (محرر)، (١٩٨٦م)، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ص ص ٥٠٠-٥٠٥.

استيعاب المعاني الجديدة، وهو الأمر نفسه الذي يجعل المعاني المرتبطة بالأشكال متغيرة على المستوى المحلي. ويمكن تفسير هذه الظاهرة من خلال حركة المعاني المحلية وتراكمها واستيعابها الدائم للمعاني الجديدة والمستحدثة التي تجعل من التطورات المعمارية الجديدة مقبولة ومستساغة محلياً، ومع ذلك فنحن لا ننكر أن هناك "فجوة" في "المعنى" تحتاج إلى تجسير نتيجة للغياب التام للنقد المعماري والتخطيطي في دولة الإمارات والعالم العربي بشكل عام.

في مجال الثقافة المادية – وخصوصاً الشكل العمراني – استخدمت الطريقة السيميائية لدراسة المعنى، التي تتضمنها الأشكال المادية.(١٢) فعلى سبيل المثال أكد (أمبرتو أيكو) **Umberto Eco** أهمية الطريقة السيميائية؛ ذلك أن الثقافة نظام من العلامات. لقد قال: يجب علينا أن ننظر إلى الطريقة السيميائية على أنها أكثر من تعرف نظام العلامات؛ فهي في جوهرها الطريقة التي يمكننا أن ندرس بها كل الظواهر الثقافية كما لو أنها نظام من العلامات خصوصاً إذا ما افترضنا أن الظواهر الثقافية هي في واقع الأمر نظم من العلامات التي تجعلنا نرى الثقافة على أنها نظام للاتصال.(١٣) فالعصا – على سبيل المثال – ارتبطت في المجتمعات الخليجية قاطبة والمجتمع الإماراتي بشكل خاص بالتنشئة الاجتماعية وبالدفاع عن النفس وارتبط بها كثير من الوقار والانضباط. كما تشير العصا إلى المكانة الاجتماعية بحسب خامة صنعها وطريقتها ونوع تزينها ودرجته.(١٤) وربما تكون العصا من أهم أدوات الثقافة المادية التي ارتبطت

(١٢) See **Broadbent, G. Bunt, R. & Jencks, C.** (Eds). (1980), Signs, Symbols, and Architecture, Chichester, John Wiley &Sons.

(١٣) **Eco, U.** (1980), ''Function and Sign: The Semiotics of Architecture'', In **Broadbent, G. Bunt, R. & Jencks, C.** (Eds). (1980), Signs, Symbols, and Architecture, Chichester, John Wiley &Sons, p. 11.

(١٤) عبد الله، عصام الدين إبراهيم، (١٩٩٨م)، "العصا: دراسة في الثقافة المادية"! المأثورات الشعبية، العددان ٥١، ٥٢ (يوليو/ أكتوبر)، ص ص ٥٩-٦٥.

بشخصية الإنسان. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (طه: ١٧، ١٨). فالعصا هنا هي العلامة التي تشير إلى مكانة صاحبها الاجتماعية من خلال جودة صنعها والنقوش عليها. فعلى الرغم من أن الجميع يتفق على العصا من حيث المعنى فإن هناك المعنى الخاص المرتبط بالهوية الشخصية لصاحب العصا، وهو ما تفنن فيه أبناء الخليج وبخاصة أبناء الإمارات. ولا يمكن لأحد أن يدرك أهمية هذا العنصر المادي في المجتمع الخليجي إلا إذا كان على وعي كامل بالعمق الثقافي الذي تمثله العصا ودلالاتها الرمزية المرتبطة بشخصية الفرد الخليجي.

ويمكن تقسيم المنهج السيميائي إلى ثلاثة أقسام؛ هي: المبنى أو التركيب **Syntactic**، ويهتم بعلاقة العلامة بالعلامة الأخرى داخل نظام العلامات، والدلالة **Semantic**، ويهتم بعلاقة العلامة بالأشياء التي تدل عليها؛ أي كيف تحمل العلامة المعنى، وأخيراً الاستخدام **Pragmatic**؛ وهو علاقة العلامات بالاستجابات السلوكية للناس.(١٥) على أن الطريقة السيميائية لا تخلو من العيوب، فهي تجريدية وغامضة، مما يجعل المعاني صعبة التفسير، كما أن كثيراً من الدراسات التي وظفت هذه الطريقة لدراسة التراث المادي أهملت الاستخدام **Pragmatic**، وهو الجزء الأهم لفهم المعاني التي تتضمنها الأشكال المادية؛ لأنه يهتم بتأثير العلامات على أولئك الذين يتلقونها ويفسرونها على أنها جزء من سلوكهم الكلي.

أما الاتجاه الرمزي **Symbolic Approach** فيتطلب معرفة عميقة بالثقافة الخاصة بالتراث المادي المراد دراسته. فالرمز يتمتع بطبيعة اتصالية تجمع عليها أغلب التعاريف؛ فقد عرف (لانجر) **Langer** عام ١٩٥٣م الرمز على أنه

(١٥) **Rapoport, A.** (1982), Op. Cit., p. 39.

"أي أداة تمكننا من التجريد".[١٦] ويؤكد (جيرتز) **Geertz** أن الرمز هو "أي شيء أو فعل أو حدث أو علاقة تعمل أداة لتوصيل الفكرة".[١٧] كما أن (لانج) **Lang** يشير إلى أن المعنى الرمزي ينتج عن "العمليات الذهنية عندما يكتسب الشيء معنى ذا دلالة أعمق من استخدامه الوظيفي".[١٨] ويؤكد (ربابورت) أن الرمز "إحدى أهم الطرق لتغيير عالم العلامات إلى عالم المعاني والقيم"، لذلك فإنه يرى أن الرموز تساعد الناس على "فهم العالم ووضعه في أطر ذات معنى"؛ مما يجعل الرمز ذا تأثير بالغ على إدراكنا للبيئة المادية من حولنا وردود أفعالنا نحوها.[١٩] ولكن السؤال المهم هنا هو: كيف نستطيع فك هذه الرموز وتفسيرها لكي تحدث عملية الاتصال؟

في دراسات متعددة حول ملقف الهواء أو ما يسمى في الإمارات بـ"البارجيل" ودوره في التشكيل البصري لخط السماء في المدينة الخليجية (شكل رقم ٦)[٢٠]، بينت أن هذا العنصر يتمتع ببنية رمزية بصرية تمكنه من الاستمرار عبر الزمن حتى بعد أن يتغير المحيط الفيزيائي الذي نشأ فيه وحتى

---

(١٦) Cited in Rapoport, A. (1970), "Symbolism and Environmental Design", International Journal of Symbology (USA), Vol. I, No. 3 (April), pp. 1-10.

(١٧) Cited in **Rapoport, A.** (1982), Op. Cit., p. 48.

(١٨) Cited in **Nasar, J.** (1993), "Connotative Meaning of House Style", In **E. Arias** The Meaning and Use of Housing, Aldershot, Averbury, pp. 143-67.

(١٩) Cited in **Rapoport, A.** (1970), Op. Cit., p. 1-10.

(٢٠) انظر إلى: **النعيم، مشاري، عبدالله**، (١٩٩٨م)، "القيمة البصرية لملاقط الهواء في العمارة الخليجية المعاصرة" القافلة، مجلد ٤٧، عدد١، وكذلك انظر إلى **النعيم، مشاري، عبدالله**، (١٩٩٩م)، "أزمة الهوية في المدينة الخليجية المعاصرة: دراسة لبعض الخصائص البصرية للعمارة الخليجية"، ورقة قدمت لمؤتمر التخطيط والتنمية العمرانية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جامعة قطر (٢٧-٢٩ أبريل)، وكذلك **النعيم، مشاري عبدالله**، (١٩٩٩م)، "ملقف الهواء في العمارة الخليجية: إشكالية الشعبي – الكوني" المأثورات الشعبية، العددان ٥٣/٥٤ (يناير، أبريل)، ص ص ٤١-٦٥.

بعد أن تلاشت وظيفته المناخية. هذه المقدرة البصرية نبعت من قدرة "البارجيل" الفيزيائية على التواصل مع عين الإنسان من زوايا مختلفة؛ مما شجع الكثيرين على الاستدلال به ورسم خرائطهم الذهنية **Mental Maps** للمناطق التي يعيشون فيها. ومع الزمن أصبح هذا العنصر دليلاً مادياً على مكانة الأسرة الاجتماعية بعد أن أصبح "البارجيل" تكويناً بصرياً زخرفياً. وبعد التغير "الراديكالي" في المدينة الخليجية لم يفقد "البارجيل" مكانته البصرية وإن كان فقد كثيراً من قيمته المناخية؛ مما يؤكد ما للرموز البصرية من قيمة كبيرة ومقدرة فائقة على المقاومة والاستمرار. يمكننا رؤية الرمز هنا على أنه عنصر مادي أو معنوي قادر على مقاومة التغير لارتباطاته التاريخية في أذهان الناس؛ الأمر الذي يجعلهم في حالة رغبة لإعادة إنتاجه ولو بصيغ مختلفة وبوظائف جديدة.

شكل رقم (٦) – البراجيل في المدينة الإماراتية– دبي في الستينيات

على أن مشكلة المنهج الرمزي هي صعوبة تمييز الرمز عن العلامة، وفي هذا الصدد يقترح (ربابورت) منهج الاتصال غير الشفهي حلاً وسطاً، فهذا المنهج يتعامل مع السلوك غير الشفهي، وهو جانب حسي ذو بعد معنوي يتعامل مع الحاسة البصرية والحواس الأخرى المسؤولة عن العملية الإدراكية

عند الإنسان. ويمكن استخدام هذا المنهج لدراسة الثقافة المادية من خلال جانبين؛ أولهما حاسة التمثيل **Analogy** والمجاز**Metaphor** عندما توفر الثقافة المادية الشفرات غير الشفهية لفهم السلوك. والجانب الآخر هو أن الشفرات غير الشفهية ليست وحدها ذات خاصية توصيلية بل إنها ستساعد الشفرات التوصيلية الأخرى، خصوصاً الشفهية منها، وبذلك تعمل الثقافة المادية كجهاز حسي ذي خاصية توصيلية، يعكس المعاني الثقافية مباشرة ويشجع الأجهزة الأخرى على توصيل هذه المعاني.(٢١) يدعم هذا الاتجاه (فليتشر) **Fletcher** الذي قال: "هناك فرق واضح في المقاس والأسلوب في العلاقة بين ما يفعل الناس حقيقة، وبين البيئة الفراغية التي يصنعونها وبين التصريحات والتعبيرات اللفظية التي يطلقونها لوصف الحياة الاجتماعية"، لذلك فهو يقترح أن نحلل الثقافة المادية " دون العودة للمعاني الشفهية ذات البعد الزمني القصير "(٢٢) ؛ أي إننا يمكن أن نفهم العلاقة الحميمة التي بناها الناس مع الأشياء المحيطة بهم دون أن نسألهم، وذلك من خلال رصدنا لتعاملهم مع هذه الأشياء خصوصاً أن كثيراً من الناس لا يستطيعون تعليل كثير من السلوكيات التي يمارسونها؛ مما يجعل هذا المنهج، وهو منهج بنيوي، مهماً جداً في تفسير كثير من الرموز الباطنة في أي ثقافة. وهو المنهج الذي اتبع في هذه الدراسة، فقد قام الباحثان برصد ما حدث في المدينة الإماراتية خلال الستة عشر عاماً الماضية (١٩٩٠-٢٠٠٦) وبشكل يوثق التحولات العمرانية المهمة ومحاولة تفسيرها واستنباط المعاني المحلية التي شكلتها.

أحد الأمثلة التي يمكن أن نفهم بها ما للاتصال غير الشفهي من دور في عكس معانٍ ثقافية مباشرة وغير مباشرة هو البخور واستخداماته الرمزية في

---

(٢١) **Rapoport, A.** (1982), Op. Cit., p. 50.

(٢٢) **Fletcher, R.** (1989), ''The Message of Material Behavior: A Preliminary Discussion of Non-Verbal Meaning'', In I. Hodder (ed) The Meanings of Things: Material Culture and Symbolic Expression, London, Harper Collins Academic, pp. 33-40.

منطقة الخليج، فالمثل الدارج هو "ما بعد العود قعود" أو كما يقول بعض أهل الإمارات "إذا حضر العود جلل الجعود".[٢٣] والبخور هنا يقوم بدلاً من المضيف بإنهاء فترة الضيافة وهي لغة غير شفهية، فيها كثير من التأدب مع الضيوف، فمهما كانت العبارات الشفهية التي يمكن أن تستخدم لإنجاز مثل هذه المهمة فستكون خارجة عن نطاق العرف الذي اعتاده أبناء المنطقة. كما أن للبخور خاصية بصرية خصوصاً إذا ما اقترن بعنصر بصري آخر "كالتباشير"، وهي النهايات الطرفية لأسوار الأسطح في مساكن ظفار بسلطنة عمان، وسميت بهذا الاسم لأنها مرتبطة بمدلول اجتماعي احتفالي، إذ إن الأهالي يضعون اللبان عليها ومن ثم يشعلونه، فتملأ المكان رائحته الطيبة خصوصاً عند قدوم المسافرين من الخارج فرحاً بعودتهم سالمين.[٢٤] فعلى الرغم من مظاهر الابتهاج التي يشير إليها البخور فإن ارتباطه بالتباشير فيه إعلام جماعي بالفرح، وفية احتفاء بالقادم من السفر بصرياً وإعلامه عن بعد بهذا الاحتفاء.

وفي واقع الأمر أن المناهج الثلاثة السالفة الذكر يكمل بعضها بعضاً، وجميعها تشترك في منظور واحد هو أن الثقافة المادية – من حيث هي أشياء مادية حسية ومن حيث استخدام هذه الأشياء ومن حيث العلاقة بين مستخدمي هذه الأشياء – يمكن أن ترى هذه الثقافة وسطاً ذا معانٍ ضمنية؛ مما يجعلنا نشير إلى إمكانية استخدام المناهج الثلاثة إطاراً واحداً لدراسة الثقافة المادية. في هذه الدراسة نحن نهتم بالمعاني ذات المدى البعيد؛ أي المعاني التي تضمنتها الثقافة المادية التي تعبر عنها المدينة الإماراتية المعاصرة وارتباطاتها التاريخية. كما يهمنا كيف شكلت هذه الثقافة نمط الحياة اليومية لأبناء الإمارات وكيف أثرت، هذه الأنماط وكيف تأثرت، بالأشكال المعمارية التي نتجت في

(٢٣) الأسود، حافظ، (١٩٩٥م)، "رموز محورية في تراث الإمارات العربية المتحدة" المأثورات الشعبية، السنة العاشرة، العدد الثامن والثلاثون (أبريل)، ص ص ٧-٢٦.

(٢٤) العليان، خالد بن أحمد، (١٩٩٤م)، البيوت القديمة في محافظة ظفار، روى، المطابع العالمية، سلطنة عمان، ص ٢٥.

المدينة الإماراتية خلال العقدين الأخيرين، فالأسلوب الإثنوغرافي الذي تتبناه هذه الدراسة هو تحليل الأوساط المادية التي حملت معاني ثقافية ضمنية محاولة لفهم هذه المعاني في الثقافة المادية العمرانية في الإمارات، كيف فهمت هذه المعاني من قبل الناس في المنطقة؟ وكيف استخدموها أدوات اتصال غير شفهية عبرت عن شخصيتهم الجماعية ولم تغفل الشخصية الفردية لأي منهم؟

وبشكل عام يمكن أن نقول: إن الدراسة تحاول أن تقدم المعاني المرتبطة بالأشكال المعمارية الجديدة في المدن الإماراتية بحسب المستويات الثلاثة التي طورها (تيرنر) **Turner** لدراسة الرموز في الثقافة المادية. أول هذه المستويات هو المعنى المحلي للرمز **The Exegetical Meaning**، ويمكن الحصول على هذا المعنى من الاستجابة المباشرة للثقافة المادية السائدة؛ فالتأويلات التي يقدمها الأفراد والإخباريون توفر المادة اللازمة لمعرفة المعنى المحلي للرمز. ويأتي المعنى الإجرائي **Operational Meaning** درجة أكثر عمقاً لفهم الرمز من خلال استخدامه. هذا المستوى يوفر المعلومات الخاصة بالرمز في صورتها الشعائرية **Rituals** عن طريق رصد ردود الأفعال لمستخدمي الرموز. أما المعنى القائم على العلاقة (ويمكن أن نسميه المعنى المحيطي)**Positional Meaning** فيهتم بعلاقة الرمز بالرموز الأخرى، ويركز هذا المستوى بصورة أدق على نسق الرموز التي تتميز بها ثقافة مادية محددة.[٢٥] هذه المستويات الثلاثة للرموز تشكل المنهج الفكري والتحليلي الذي اعتمدنا عليه في دراسة التحولات العمرانية في مدينتي أبوظبي ودبي (وهو المجال المكاني للدراسة)، فقد حاولنا فهم الشكل المعماري في حضوره الرمزي وبمستوياته الثلاثة، واستخلصنا العلاقة بين المادي (الرأسمالي) وبين الثقافي (التاريخي والاجتماعي والسياسي).

(٢٥) **Turner, V.** (1967), The Forest of Symbols: Aspects of Nedembu Rituals, London, Cornell University Press, pp. 50-51.

٣- المدينة الإماراتية – تصادم الرأسمالي (المادي) والثقافي:

لقد قال (جين جاكوب) في كتابه (المدن وثراء الأمم): إن "حياة كل الاقتصاديات المتطورة تعتمد على اقتصاديات المدن... حياة كل الاقتصاديات المتوسعة تعتمد على صلات العمل مع المدن"، على أن السؤال الأهم هو "في اقتصاد عولمي، هل ما زالت حياة الاقتصاد تعتمد على اقتصاديات المدن؟"، يعتقد (ريتشارد نايت) في كتابه (المدينة في مجتمع العولمة) أنه "الآن في الوقت الذي أصبح فيه التطور تسيره العولمة أكثر من الوطنية، دور المدينة أصبح في ازدياد". ونحن هنا نتحدث عن المدينة الإماراتية في عصر العولمة وماذا سيكون دورها المستقبلي في عصر تتسارع فيه المعلومة وتتحول فيه الثوابت ويصبح فيه العالم سوقاً كبيراً بلا حدود؟ أسئلة ملحة نطرحها على المدينة الإماراتية تحتاج منا إلى البحث عن بعض الإجابات خصوصاً فيما يتعلق بالبعد الاقتصادي – الثقافي الذي ترتكز عليه حياة المدن، فماذا عسى سيكون مستقبل المدينة الإماراتية في عصر يؤكد كثير من الباحثين أنه سيصبح فيه على المدن دور أكبر في بناء اقتصادها المستقبلي؟

يتحدث (ليفبر) **Lefebvre** عن فكرة "المكان المجرد" الذي يجرد الإنسان من القيم والعادات والتقاليد؛ فهو يعتبر "البيئة العمرانية المعاصرة "قوة إنتاجية رأسمالية" تعمل في المجتمع كأي قوة منتجة أخرى، فهي ليست مجرد نتاج رأسمالي، بل هي كالمال الذي يحصل عليه التاجر – على سبيل المثال – بعد البيع، ثم يستثمره قوة لإنتاج آخر. فهي أماكن أثرت الحضرية الغربية على طريقة تركيباتها وتصميماتها وعلاقتها بعضها مع بعض، ومن ثم على المجتمع – تأثيراً رأسمالياً، بل إن الرأسمالية تعيد إنتاج نفسها عن طريق الحضرية التي هي في الغالب نظم للبيئة العمرانية.[٢٦] ولعل فكرة المكان المجرد تطرح العديد

(٢٦) أكبر، سمير، (١٩٩٥م)، "الرأسمالية من حيث لاندري"، مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط)، المجلد السابع، ص ص ٣-٢٦.

من الأسئلة حول ما يحدث في المدينة الإماراتية في الوقت الحاضر؛ إذ إن العمارة تحولت إلى "سلعة"، وأصبح المكان نفسه مادة تجارية تعبر عن التوجه الرأسمالي للمدينة الإماراتية بشكل مباشر.

ومع ذلك يمكن أن نعتمد كثيراً على فكرة الفروقات التي يراها المهتمون بين العولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية، فهم يؤكدون أن كلاً منهما منفصل عن الآخر ولا يعني مطلقاً أن تحقيق إحداهما لا يمكن أن يحدث إلا بتحقيق الأخرى، ويؤكد أنه في حين تحتوي العولمة الاقتصادية على إيجابيات كثيرة لا يوجد إلا القليل (إن وجد) من الإيجابيات في العولمة الثقافية. ربما يذكرنا هذا بقول مؤلف كتاب (نهاية التاريخ) (فرانسيس فوكوياما) الذي يعارض فكرة أن تقود العولمة إلى التجانس الثقافي، ويؤكد أن المجتمعات تحافظ على سماتها المتفردة على الرغم من الضغوط الاقتصادية، لقد قال: "إن الكثيرين يعتقدون أن تقدمنا في مجال تكنولوجيا الاتصالات وقدرتنا على إنشاء ثقافة تلفزيونية سائدة عالمياً، سيقود إلى تجانس ثقافي أعمق. قد يكون الاعتقاد هو العكس. ويعزى ذلك إلى تزايد معرفة الثقافات المختلفة بعضها ببعض ومدى التباين الثقافي الواسع بينها، ففي الماضي كان هناك انبهار بالثقافة الغربية إلا أن وسائل الاتصالات المعاصرة مكنت الثقافات الأخرى من معرفة الثقافة الغربية، وتلاشى ذلك الانبهار بعد تعرف المناحي السلبية في تلك الثقافة". كما أنه يؤكد أنه عندما يتم دراسة ثقافة ما "فإن جل الاهتمام ينصب على بعض الجوانب مثل نوعية السلع الاستهلاكية التي يقبل المستهلك على شرائها. ولكن هذه هي أشد جوانب الثقافات سطحية، فالثقافات تتكون من معايير أخلاقية أعمق بكثير، وهي التي تؤثر في كيفية تواصل البشر". ربما يدعونا هذا للتفكير في الآليات التي يجب اتباعها لجعل المدينة الإماراتية جزءاً من الاقتصاد العالمي وتبني سياسات تقلل من فرص العولمة الثقافية (وذلك بالمحافظة على العناصر الداعمة لشخصية المدينة الإماراتية ومجتمعها).

هناك خمسة مبادئ على المدينة الإماراتية التعامل معها لتحقيق هذا الهدف هي: العولمة والمحلية والتنوع والاستدامة والمسؤولية. يتحدث رجل الأعمال الأمريكي (بيتر دركر) بقوله: "يحتاج الشخص المتعلم في الغد لكي يعد نفسه للحياة في العالم الكوني – هو أو هي – إلى أن يصبح "مواطناً للعالم" في الرؤية والأفق والمعلومات. ولكن هو أو هي سوف يحصل على مصادر المعرفة من جذوره المحلية، وفي المقابل إثراء ثقافته المحلية وتغذيتها. وكما يقول (وليام أورلي) "الاحتياجات المحلية تتطلب حلولاً محلية" **Local needs Demand Local Solutions**[٢٧] وهذا يعيدنا لأهمية الثقافة المحلية التي يجب أن يحافظ عليها والمسؤولية المتزايدة على المدن في بناء مستقبلها. أما التنوع الذي يجب أن تسعى له المدينة الإماراتية فهو تنوع السكان وتنوع مصادر الدخل وتنوع الأسواق، ومن ثم تنوع المستهلكين. أما بالنسبة للاستدامة، فالمدينة تحتاج إلى استدامة وظيفية للبنية التحتية، واستدامة مالية للحكومة المحلية، واستدامة فيزيائية للبيئة المبنية، واستدامة ثقافية للتقاليد والأعراف والمهارات المحلية. وبما أن التحول سيكون عميقاً جداً على المستوى المحلي، لذلك فإن كل مدينة يجب أن تعطى الفرصة كي تتحمل المسؤولية في بناء اقتصادها المستقبلي.

إنه من الأهمية بمكان أن نحاول البحث عن الكيفية التي ستكون عليها العمارة في الإمارات في عصر العولمة وماهية "القيم الثقافية" الجديدة التي يمكن أن تنتجها هذه العمارة. ربما نعود إلى ما ذكره برهان غليون حول العولمة التي يرى أنها "ثمرة لقاء المعلوماتية وتطوراتها، واستراتيجية جديدة لقوى رأس المال العالمي".[٢٨] ويبدو أن الوضع الجديد ولد قيماً ثقافية تصنع

(٢٧) **O'Reilly, W.** (1999), (Ed) Architectural Knowledge and Cultural Diversity, Lausanne, Comportements.

(٢٨) غليون، برهان، (١٩٩٩م)، حوار أجراه محمود حيدر، مجلة العلوم الاجتماعية (٢٧)، العدد ٢.

"هويات متعددة" مرتبطة بالشركات المتعددة القوميات بدلاً من فكرة "الهوية الوطنية".[٢٩] على أننا لا نستطيع أن نقول: إن العمارة والمدينة الإماراتية الحالية ابتعدت عن جذورها المحلية وأصبحت ذات "هويات متعددة"، وإن كنا لا ننفي هذه الظاهرة بشكل تام. وهو الأمر الذي يفرض علينا أن نضع في اعتبارنا أنه في عالم العولمة الشمولية الاقتصادية والاجتماعية يصبح كل شيء معرضاً للعرض والطلب والاستهلاك ضمن نمط الاستهلاك الرأسمالي العولمي. ولعل هذا الأمر على وجه الخصوص أعاد تعريف الأشكال المعمارية، وجعلها في حالة حركة دائمة.

٣-١- تحولات غير مستقرة في الشكل والمعنى - دبي مثالاً:

يثير الدكتور عبدالخالق عبدالله تساؤلات عن مدينة دبي ومشاريعها؛ أتقوم دبي بكل هذا من أجل السمعة وجلب الأضواء والاهتمام أم أن مبادراتها وخططها جزء من خطة مستقبلية لتأسيس لحظة في تاريخ المدن العربية؟ إن من الواضح أن دبي تبدو أكثر المدن اندفاعاً لتأسيس ما بعد نفط دبي، ويبدو جلياً أن المدينة تؤدي دور المدينة القدوة لكثير من المدن المجاورة. لقد فتحت دبي أبوابها ومرافقها لرجال المال والأعمال الذين يعاملون ويتصرفون كملوك في هذه المدينة التي هي جنة التجار والمستثمرين؛ فالقانون هو عدم تدخل الدولة في الاقتصاد[٣٠]، والأمر يمتد كذلك إلى عدم تدخل الدولة في العمارة؛ ففي حين كانت هناك قوانين في كل من إمارة أبوظبي والشارقة تنظم تشكيل المباني ليتناسب مع العمارة المحلية والإسلامية تركت دبي المجال للمعماريين دون قيد. لقد سعت دبي منذ الستينيات إلى الانفتاح على العالم. وكما يقول الشيخ محمد

(٢٩) حيدر، قادري أحمد، (٢٠٠٥م)، "العولمة ومسألة الهوية: قراءة فكرية ثقافية"، في كتاب قضايا فكرية، الكتاب الحادي والعشرون (يناير)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ص ٣٩٣-٤١٣.

(٣٠) عبدالله، عبد الخالق، (٢٠٠٦م)، مرجع سبق ذكره.

بن راشد آل مكتوم حاكم دبي عندما أكد أن شعار "دبي مدينة العالم" سيصبح "دبي هي العالم"[٣١]، ويؤكد حاكم دبي في كتابه (رؤيتي) أن رؤيتنا لدبي عالمية في المضمون والامتياز والمنافسة.[٣٢]

ومن الممكن الإشارة إلى أن طفرة البناء في مدينة دبي خلال نهاية الستينيات والسبعينيات قد أعادت تشكيل البيئة المبنية، وبخاصة في قلب المنطقة التجارية في ديرة وضفة خور دبي في المنطقة نفسها. ويلخص مخطط التنمية الشامل لإمارة دبي وصفاً للبيئة المبنية للمكان؛ حيث يشير إلى أن الخور هو الحيز الحضري الأكثر تعقيداً والأكثر جاذبية. فالطراز المعماري العالمي الذي اقتحم المنطقة المركزية حل محل جزء كبير من المباني القديمة وشكل المنظر العام الجديد لجانب ديرة من الخور الذي هو بمنزلة ستار من المباني البيضاء اللون من العمارات السكنية والفنادق والمصارف والمباني المكتبية المتعددة الطوابق. وهذه المباني ذات الطابع العصري والخالية من الزركشة تشكل منظراً فريداً يمثل منحنى ضخماً أبيض يتبع ضفة الخور. ويبقى الخور العنصر القوي الذي يؤمن التماسك البصري للمركز. ومع هذا التشكيل الجديد لضفة خور دبي نجد الخور يفصل ضفتيه إلى ضفة تحوي المباني العصرية وضفة بر دبي ذات المباني التقليدية.[٣٣]

قدم (هارس) تصوره الأول لمركز دبي التجاري بوصفه مبنى إدارياً من ٦ طوابق. ولكن التوجه كان نحو بناء مبنى من ٣٩ دوراً على طرف مدينة دبي في

(٣١) حيدر، مشرق علي، (٢٠٠٥م)، دبي إمبراطورية الثراء اللانفطي، البيان الاقتصادي، ١ يونيو ٢٠٠٥م.

(٣٢) المكتوم، محمد بن راشد، (٢٠٠٦م)، رؤيتي: التحديات في سباق التميز، دار موتيڤيت للنشر، دبي.

(٣٣) بلدية دبي، (١٩٨٦)، مخطط التنمية الشامل لإمارة دبي، الأوضاع القائمة، تقرير رقم ٢، (المجلد ٢)، يونيو ١٩٨٦م، وضع بالتعاون مع مشروع الأمم المتحدة من قبل إدارة تخطيط المدن ببلدية دبي، مؤسسة دوكسيادس العالمية.

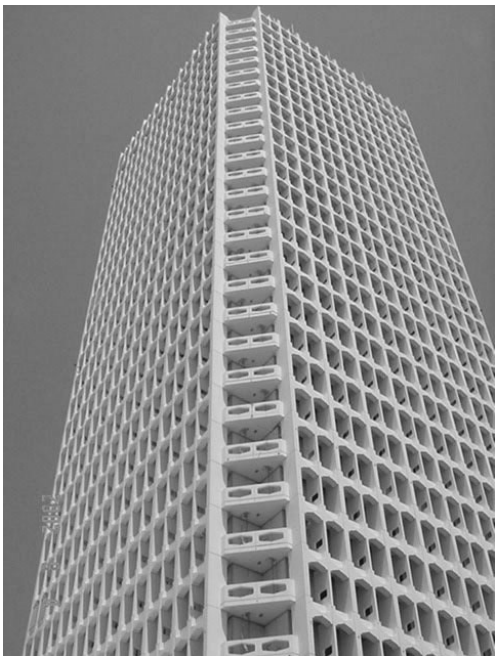

شكل رقم (٧) – المركز التجاري في دبي للاستشاري جون هارس

ذلك الوقت حيث لا بناء، وكل ما يوجد هناك مجرد صحراء جرداء. ويشير (**Page**) إلى أن الهدف من اختيار موقع المركز بعيداً عن مدينة دبي يرجع إلى رغبة حاكم دبي في أن يشكل بناء المركز نقطة جذب للبناء؛ بحيث يتم فيما بعد تعمير المنطقة بين المركز ومركز المدينة.[٣٤] ويذكر القرق في كتابه ينابيع الذاكرة (**The Wells of Memory**) أن الهدف من بناء المركز هو أن يكون المبنى سمة لمكانة دبي العالمية.[٣٥] فالمباني المرتفعة في العواصم العالمية ترمز دائماً إلى التطور والحداثة ومتانة الاقتصاد، كما اعتبر المركز التجاري (شكل رقم ٧) رمزاً لتقدم دبي المعاصرة.[٣٦] وقد أثار حاكم الإمارة الغضب في إمارته آنذاك لعزمه بناء بناية من ٣٩ طابقاً كما يذكر ذلك (ويلسن) في كتاب الوالد والباني؛ فقد ظن البعض أن المشروع قد يكون رمزاً لحماسة الشيخ راشد الزائدة، ولكن بعد ما يقارب ربع قرن من بناء المبنى يقف مركز دبي رمزاً لمكانة دبي التجارية، ويبدو وكأنه البوابة إلى المدينة للقادمين من

(٣٤) **Page, Richard, Adams**. (1992), Growth and Change in the Arabian Gulf: A case study of Dubai, Master Thesis, University of Texas at Austin.

(٣٥) **Al-Gurg, Easa.S**. (1998), The Wells of Memory, John Murray:London.

(٣٦) **Page, Richard, Adams** (1992) Op.cit.

أبوظبي عاصمة دولة الإمارات.[٣٧] وما يمكن أن نقوله عن هذه "العولمة المبكرة" لمدينة دبي هو أن هذه الرؤية الثاقبة للشيخ راشد آل مكتوم كانت هي الأساس الذي جعل من دبي في وقتنا الحاضر "مدينة معولمة"، فقد فتح هذا التخطيط المبكر الباب على مصراعيه لدبي كي تخوض غمار العولمة وهي مستعدة لها.

شكل رقم (٨) – شارع الشيخ زايد– دبي

ففي نهاية السبعينيات كان مبنى المركز التجاري يقف شامخاً وحيداً في صحراء قاحلة، ومع بداية الألفية الثالثة يشكل شارع الشيخ زايد (شكل رقم ٨) بوابة غير محددة الارتفاع للمباني للداخل إلى دبي من جهة أبوظبي. وضمن ناطحات السحاب على جانبي الشارع توجد العمارة الكونية بجميع جوانبها؛ إذ أصبح الشارع هو بداية دبي الجديدة إلى جبل علي. وما يمكن أن نقوله هنا هو: إن شارع الشيخ زايد ولد معاني حضرية جديدة نقلت قلب المدينة من الوسط التاريخي إلى أطراف المدينة، وأصبح هذا الجزء طوال التسعينيات المحطة الأساسية التي ينظر لها سكان دبي وزوارها على أنها "دبي الحديثة" التي تعبر عن العولمة والتطور الرأسمالي الذي تعيشه المدينة الإماراتية. يمكن أن نقف كثيراً عند المعاني الجديدة التي بدأت تتولد حول

(٣٧) ويلسن، جريم، (١٩٩٩م)، راشد بن سعيد آل مكتوم، الوالد والباني، ميديا بريما، دبي.

"ناطحات السحاب" في هذا الشارع؛ فقد جذبت هذه المعاني التي تعكس العولمة المستثمرين ليتحول الشارع مع مطلع الألفية الثالثة إلى جدار عملاق من المباني الشاهقة تذكرنا بوسط "منهاتن" والمدن الآسيوية الرأسمالية مثل سنغافورة وهونج كونج. من الناحية المعمارية، أوجدت المباني الزجاجية العالية في هذا الشارع ثقافة عمرانية تختلف عن التي كانت سائدة من قبل من ناحية تقنيات البناء وجرأة الاستثمار؛ (إذ إن المباني الزجاجية معروفة في دبي مبكراً ومنذ بداية تأسيس الدولة تقريباً). لقد أصبح الشكل المعماري ذا تعبير سلطوي أو أنه صار يمثل سطوة رأسمالية لم تكن معروفة بهذه القوة وهذا الحضور، وتحول المبنى على الرغم من وظيفيته وتجاريته إلى علامة بصرية تعبر عن جيل من الرأسماليين الجدد (أو القدماء الذين لم يكن يهمهم ظهورهم كرجال أعمال ذوي نفوذ رأسمالي في المدينة).

٣-١-١- مفهوم الجديد والمعنى الرأسمالي لمدينة دبي:

لقد أدمنت المدينة على وعد بأن هناك دائماً جديداً، مدن جديدة في أسلوب البناء ومشاريع عملاقة يتم الإعلان عنها بصفة مستمرة بهدف التسويق والبيع. المدينة ليس لها تاريخ حضري حقيقي؛ الأمر الذي يدعوها لبناء نظام حضري جديد لها من خلال هذا الجديد.(٣٨) فخلال عقد التسعينيات تم التخطيط لبناء العديد من المدن المتخصصة مثل مدينة دبي للإنترنت (شكل رقم ٩)، مدينة دبي للإعلام، قرية المعرفة، مدينة دبي الطبية، مدينة دبي اللوجستية، مدينة دبي البحرية ومدينة دبي الصناعية.(٣٩) إضافة إلى مشاريع مثل لؤلؤة دبي، مدينة دبي للشطرنج، مدينة مطار جبل علي (شكل رقم ١٠)، أساطير دبي، مدينة الصقر للعجائب، ومدينة دبي الجبلية، ومركز دبي المالي (شكل رقم ١١).(٤٠) فقد أعلن عن استثمارات بقيمة ٣١٢ مليار دولار منذ سنة ٢٠٠٤م لتشمل ١٠٠

(٣٨) **Katodrytis, George. (2005),** Metropolitan Dubai and the Rise of Architectural Fantasy, Didoun Magazine, Issue 4, Spring 2005.

(٣٩) Gulf News, 5 Januray 2006.

(٤٠) البيان الاقتصادي، ٧ فبراير ٢٠٠٦م.

برج في دبي فقط[٤١]. وقد يكون هناك كثير من المباني في هذه المدن، ولكن السؤال هو: هل هي حقاً مدن يمكن الحياة فيها؟ وكما تقول المعمارية (زها حديد) إنه في منطقة الخليج لم يتم بناء مدينة "لأننا لسنا مجتمعاً مدنياً، ومدننا مبنية على نظام الحياة البدوية".[٤٢] ومع ذلك فنحن لسنا بصدد مراجعة هذا القول فقد مرت الحضارة العربية بمرحلة الانتقال من البداوة إلى التحضر (يمكن العودة إلى مقدمة ابن خلدون) إلا أن التساؤل حول ما يحدث في دبي والإمارات بشكل عام يعبر عن قلق حول مفهوم المدينة، فهل ما يحدث هو فعلاً بناء مدن يمكن أن يعيش فيها الإنسان الإماراتي أو هي مدن رأسمالية تهدف بالدرجة الأولى إلى البناء الاقتصادي المحض؟ فإما أن نبني مدينة أو نبني رأس المال، هذا التساؤل يجيب عنه العديد من الفلاسفة والمفكرين؛ فقد أدان (فولتير) **Voltaire** المدينة الكبيرة الحجم كما أن (مونتيسكو) **Montesquieu** اعتبرها جزءاً من النظام الاقتصادي المنتج، بينما اعتبر (بليك) **Blake** مدينة لندن على سبيل المثال "رمزاً للإنسانية العالمية".[٤٣]

شكل رقم (٩) – مدينة دبي للإنترنت

شكل رقم (١٠) – مدينة مطار جبل علي

(٤١) **William, W &Jim. P**. (2006), Gulf boom spurs engineers and architects, FT,5 July 2006.

(٤٢) الشرق الأوسط، ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م.

(٤٣) الزعبي، علي زيد، (٢٠٠٦م)، "المدينة والعولمة: قراءة تحليلية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٩٥، السنة ٢٤ (صيف ٢٠٠٦م)، ص ص ١١-٤١.

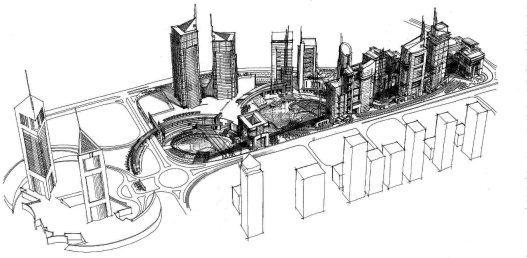

شكل رقم (١١) – مركز دبي المالي على جانب شارع الشيخ زايد

وتصف جريدة الشرق الأوسط مشروع البوادي الذي سوف يكتمل مع سنة ٢٠١٦م بأنه المكان الذي يكاد يشبه الأسطورة؛ حيث سيتجول الزائر في أماكن مختلفة من العالم وهو في المكان نفسه. ها هو ذا تمثال الحرية على مدخل ميناء نيويورك، ووراءه مبنى الامباير ستيت العتيد الذي كان يتباهى لوقت طويل بأنه أعلى ناطحة سحاب في العالم، وهناك برج بترونـاس في العاصمة الماليزية كوالالمبور، وخلفه برج تايبه ١٠١ التايواني، وإلى جواره برج الاتصالات في تورنتو. فالمكان سيكون لاس فيغاس الشرق.(٤٤) ومن الواضح أن مدينة دبي اختارت لنفسها أن تكون معرضاً للعالم، فالفضاء الاستثماري مفتوح لأي فكرة أو مغامرة جديدة ما دام أن من يفكر ومن يريد أن يغامر سوف يدفع ثمن فكرته ومغامرته.

فدبي، كما يصفها البعض، هي أكبر تجربة معمارية على كوكب الأرض، إنها النسخة الإسلامية من سنغافورة. إنها متحررة جداً لجذب الاستثمارات الغربية، وإسلامية لجذب أموال العرب بهدف الاستثمار.(٤٥) لقد تعلمت دبي بعض الدروس من سنغافورة وهونج كونج، حيث التعامل مع قوى السوق وليس ضدها. فلدى دبي

(٤٤) الشيخ، عصام، (٢٠٠٦م)، بوادي الشرق -لاس فيغاس الشرق، جريدة الشرق الأوسط، ٣١ مايو ٢٠٠٦م.

(٤٥) **Rose, Steve**. (2005), Sand and freedom, The Guardian 28 Novemer 2005.

٢٧٢ فندقاً بطاقة ٣٠٠٠٠ غرفة و٣٠ مركزاً للتسوق و٥ ملايين زائر سنوياً. وعلى الرغم من أن المدينة وجدت في محيط بيئة جغرافية غير جاذبة للأعمال مثل السعودية، الكويت، مصر، وباكستان، فإنها استطاعت أن تشكل حالة استثمارية؛ فقد عملت في هذه الأجواء المحيطة على تأسيس نفسها عاصمة تجارية في إقليم الشرق الأوسط.(٤٦) حيث اعتمدت في صنع ثروتها العقل؛ فهي تمثل للبعض حلم التنمية العربية الذي يمكن أن يثبت حقيقة أن أي بلد عربي وشعب عربي يمكن أن يصلا إلى مصاف البلاد والشعوب الأكثر نمواً وتطوراً في العالم. فالمدينة بوصفها سوقاً استهلاكية كبيرة تمكنت من أن تغرس في الأذهان الرغبة في الشراء؛ حيث يدير المستهلكون عجلة الاقتصاد.(٤٧) فدبي هي قصة نجاح لمدينة عربية وإسلامية، كما تشير مجلة التايم الأمريكية.(٤٨)

من الأهمية بمكان الإشارة إلى لاعبين قاما بدور كبير في تشكيل المدينة منذ عقد التسعينيات يتمثلان في شركة إعمار ونخيل، وأخيراً دبي القابضة. فالشركات الثلاث تهدف إلى الربح المادي عن طريق استثمارات ضخمة في القطاع العقاري الذي يشكل في منتوجه النهائي عمارة مدينة دبي خاصة دبي الجديدة الممتدة من شارع الشيخ زايد (شكل رقم ٨) إلى جبل علي ومباني مرسى دبي (شكل رقم ١٢). الرئيس التنفيذي لشركة نخيل، الذي يأتي على رأس الشركة يقول: "نحن في دبي ندخل مغامرات".(٤٩) فدبي تملك حس المغامرة وتستبق الجميع لالتقاط الأفكار الجديدة والمبدعة وغير المألوفة وتطبيقها.(٥٠) وشركة نخيل كانت وراء العديد من المشاريع، أهمها النخلة، جزر

---

(٤٦) **The Economist**. (2204), Arabia's field of dreams, May 27th 2004.

(٤٧) شمسان، (٢٠٠٥م)، رحلة من صنعاء إلى لندن.. عبر إمارات البذخ والعوز، القدس العربي، ٢١ فبراير ٢٠٠٥م.

(٤٨) **Time** (2006) 8 May 2006.

(٤٩) جريدة البيان، (٢٠٠٦م)، البيان الاقتصادي ١٩ يناير ٢٠٠٦م.

(٥٠) عبدالله، عبد الخالق، (٢٠٠٦م)، مرجع سبق ذكره.

العالم، وابن بطوطة، مول للاستشاري السنغافوري (دي بي أرتيكس).[٥١] فقد أصبحت مشاريع جزيرة النخلة علامة تجارية يتم التسويق لها عالمياً. ولعل أهم مشاريع الشركة هو مشروع واجهة دبي البحرية (شكل رقم ١٣) التي ستنشأ على المساحة المتبقية من سواحل إمارة دبي غير المطور باتجاه إمارة أبوظبي، الذي يشمل مدينة العرب حيث السعي إلى أن تكون المدينة أكثر مراكز المدن انجذاباً في العالم والقادرة على اقتسام الإرث الذي تمكنت مانهاتن من تحقيقه خلال العقود الماضية.[٥٢] فمشاريع دبي ترتبط دائماً بمراكز مدن عالمية حققت شهرة عالمية. فالاستشاري المخطط لمدينة العرب هو "جرون سامتون" من الولايات المتحدة الأمريكية ومقره نيويوك، وبرصيد من المشاريع مثل فندق جراند حياة ومبنى المكاتب في (تايمز سكوير).[٥٣] وقد كانت السياحة إحدى القنوات لتنويع مصادر الدخل؛ حيث شهدت إمارة دبي طفرة عمرانية في منتصف التسعينيات، وتم تأسيس شركة نخيل لتفعيل تلك الطفرة التي بدأت فكرتها سنة ١٩٩٥م، وتأسست رسمياً سنة ٢٠٠١م.

شكل رقم (١٢) – رسم تخيلي يوضح أبراج المرسى بعد انتهاء أعمال التشييد

شكل رقم (١٣) – مشروع الواجهة البحرية – شركة نخيل – دبي

(٥١) حيدر، مشرق علي، (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره.
(٥٢) البيان الاقتصادي، ٧ فبراير ٢٠٠٦م.
(٥٣) البيان الاقتصادي، ٧ فبراير ٢٠٠٦م.

٣-١-٢- أسئلة حول المعنى الثقافي لمدينة دبي:

يقول المعماري (كارلوس أوت) **Carlos Ott** (معماري بنك دبي الوطني وبنك أبوظبي الوطني): "إن أهل الإمارات يرحبون بقبول التحدي المعماري. فهذه الدولة تعطي المعماريين والمهندسين فرصة العمر. الناس في الإمارات متحمسون. فلقد قرروا أن يطوروا الدولة إلى مركز عالمي للتحف المعمارية".(٥٤) ولعل هذه الرؤية مبنية على بعد "تجاري" بحت حيث يرى المعماري هنا فرصاً للعمل المعماري أكثر بكثير من قيمة العمارة نفسها. وهو ما جعل **Shaun Killa** (كبير المصممين في مكتب **WK Atkins**) ينتقد الوضع المعماري في الإمارات بقوله: "كل واحد يريد مبنى على شكل علامة أرضية، أيقونة؛ الأمر الذي أدى لأن نصل إلى هذه البيوتات التي قصد بها أن تكون شبيهة بالمباني". ويضيف "العمارة أصبحت موضة. والعامة أصبحوا الآن مهتمين بالعمارة؛ فهي مثل أي شيء يريدون أن يقتنوه، مثل آخر موديل سيارة".(٥٥) وينتقد المعماري الإنجليزي مايكل هوبكنز (**Michael Hopkins**) مباني دبي الجديدة حيث يصفها بالمأساة. ويضيف أن دبي غير محفزة معمارياً ومكان لا ينتج تصميماً جيداً.(٥٦) ويذهب (**Katodrytis**) إلى تأييد هذا القول بأن دبي لم توفر فرصاً عديدة للمعماريين المبدعين، ولم يسهم العديد من مشاريعها تصميماً جيداً في دفع حدود الإبداع إلى آفاق جديدة(٥٧). وتلك المباني تنافس في تصميمها المتنافسون من المهندسين ومفتشي العمارة والديكور، فهي بكل أشكال وطرازات العالم – حتى تعطي المرء الإحساس بأنه لا يعيش في مدينة "متروبولية"؛ أي عالمية بل أحياناً يحس المرء بأنه في مدينة فلكية(٥٨) ويذهب

---

(٥٤) **Belbin, C**. (2003), Foundations for Success in Identity, Issue 1, Nov/Dec 2002

(٥٥) **Hugo, Cathy**. (2003), Future Vision in Identity, Issue 3, April/May 2003

(٥٦) **Building Design**. (2005), Hopkins rues Dubai's terrible new-buildings,-no.1660,2005 Feb.

(٥٧) **Katodrytis, George. (2005),** Op, cit.

(٥٨) شمسان، (٢٠٠٥م)، مرجع سبق ذكره.

Hans Brandt)* إلى نقد الاتجاه الأفقي اللامحدود في مباني دبي؛ حيث يشير إلى أن المباني العالية لا تعني مكاناً جيداً للسياحة، وعلى دول الخليج أن تتعلم من المغرب وتركيا في الربط بين التاريخ والثقافة وتشكيل مكان إنساني.(٥٩)

هذا النقد الصارخ لعمارة مدينة دبي على وجه الخصوص والمدينة الإماراتية بشكل عام يعيدنا إلى السؤال المبكر حول "جودة العمارة" في هذه المدن، وهل استطاعت أن تنتج بيئات ملائمة للحياة الإنسانية؟ فالذي يبدو لنا هو أن المعاني التي أنتجتها هذه العمارة فرضت قيماً استهلاكية على أبناء الإمارات لم يكونوا إلى عهد قريب مهتمين بها. قد يكون من الأجدى بالنسبة لنا هنا أن نثير معنى "العمارة الاستهلاكية" التي تولدت كقيمة أساسية تميز العمارة المعاصرة في دبي ومدن الإمارات الأخرى، فهذه العمارة ركزت على الوظيفة والعائد الاستثماري، وتحولت المدينة بذلك إلى "مناخ مضاربات"، وأصبحت الأمكنة ذات قيمة استثمارية عالية جعلت من المدينة أداة لكسب المال. هذه الحال نمت على حساب الجانب الإنساني في المدينة، الذي لم يعد أحد يكترث به كون لغة المال هي الطاغية؛ الأمر الذي جعل من المدينة برمتها مجالاً للتنافس الرأسمالي المحض.

ولعل هذا ما يؤكده (**George Katodrytis**) الذي يرى أن دبي تفتقد الهوية التاريخية؛ فالتاريخ في دبي قد تم محوه، وأصبحت تضاريس المكان ذات هوية اصطناعية. فلا يوجد مركز في دبي، ولا تطور أو تدرج حضري، وفقدت المدينة مكانها، فالفراغات في المدينة منفصلة أو مزدحمة.(٦٠) وتسعى المدينة إلى التجدد في محاولة مستمرة لأن تكون ذات طابع مبهر (**in an act of ongoing Self-Stylization and Fantasy**)، كآلة تنتج هويتها. والسؤال الذي يمكن أن يطرح هو: كيف يمكن أن تكون المدينة العربية في المستقبل، خصوصاً أن "التقانة" ليست جزءاً أصيلاً من هذه المدينة(٦١)، لقد ارتبطت دبي بحب الأيقونات المعمارية وكسر الأرقام القياسية؛ حيث بدأ هذا المسار مع برج العرب (شكل

* Identity and branding specialist Hans Brandt, chairman of European design firm Total Identity, architects of identities such as KLM.

(٥٩) http://www.ttnworldwide.com/Articles.asp?Article=5490

(٦٠) **Katodrytis, George. (2005),** Op, cit.

(٦١) **Rose, Steve**. (2005), Op.cit.

رقم ١٤)، فكل ما تم تحديده للمعماري في مشروع برج العرب أن المبنى يجب أن يكون أيقونة (**Icon**). ويمكن تشبيه المدينة بأنها مثل المراهق الذي يجرب استخدام آخر مساحيق التجميل.(٦٢) وكما يقول بعض المراقبين الغربيين فإن السعودية والكويت وقطر تقلد دبي، فإن أبصروا رقعة من الصحراء قالوا من الأفضل أن يكسوها الإسمنت المسلح.(٦٣)فدبي بدأت تتجه بقوة إلى بناء ناطحات السحاب في محاولة قوية لتقليد الفكر المعماري الغربي متخلية عن تطوير المعمار المحلي على عكس ما يحدث في العاصمة العمانية مسقط.(٦٤)

شكل رقم (١٤) – برج العرب

ويبدو أن صراع المحلي/ العالمي في مدينة دبي يثير المنطقة برمتها؛ إذ إن تحول دبي إلى عاصمة عالمية جر المنطقة كلها إلى الانفتاح نحو البحث عن بدائل اقتصادية تكون المدينة نفسها هي مصدرها، فظهر نوع من التنافس حول "رسملة المدينة"، وهو الأمر الذي جعل من المدن الخليجية بشكل عام خالية من مضمونها الثقافي الذي كانت عليه في السابق. ينتقد تقرير لصحيفة الفايننشايل تايمز اللندنية العمارة في دبي بأنها مدينة بلا روح، وذلك بسبب عدم ترابط المباني بعضها مع بعض، حيث إن المباني هي "روعات" إذا تم النظر إليها وحدها دون محيطها؛ إذ إن دبي تبدو مدينة مفككة ودون روح، وإن ناطحات السحاب تبدو وحيدة؛ وذلك لابتعادها عن البنى التحتية الأساسية للمدينة، فدبي ينقصها قلب.(٦٥)

---

(٦٢) **Ibid.**

(٦٣) جريدة البيان، (٢٠٠٦م)، البيان الاقتصادي، ١٢ مايو ٢٠٠٦م.

(٦٤) وزيري، يحيى حسن، (٢٠٠٦م)، جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية والإسلامية: سلطنة عمان كنموذج، عالم الفكر، المجلد ٣٤، أبريل – يونيو ٢٠٠٦م.

(٦٥) **Hywel, R**. (2006), Sprawling, Souless Dubai is an Architectural Flop, FT, 29 May 2006.

في المقابل تؤكد المعمارية (زها حديد) أن العمارة في دبي جيدة بالإجمال، وتحاول تقليد نماذج غربية.(٦٦) وتكتب دلال جويد عن دبي بأنها مدينة مفتوحة على آفاق المستقبل، محبة للحياة، تحتضن الأفكار الجديدة من دون خوف، وبعقل راجح لتبتدع فكرتها الخاصة... تصر على أن تكون نموذجاً مصغراً للقاء الثقافات وحوار الحضارات... خلف دبي تقف عقول آثرت أن تضع المجد في نصابه ... دبي تخطف أبصار زائريها بروعة عماراتها الشاهقة.. لدبي حضور بارز بوصفها مدينة تتقبل التطور، فهي حيوية تحتفل بالدهشة".(٦٧) ويذهب البعض في الإعجاب بما حققته دبي – كما تنقل ذلك صحيفة الفايننشال تايمز البريطانية – إلى أن مشاريع دبي لم تنته بعد، وكل المدن الكبرى تمر بمرحلة اللاترابط المعماري قبل أن تكون مثالاً يحتذى للمدن الأخرى.(٦٨)

٣-١-٣- رؤى جديدة واستثمارات مدنية عملاقة:

عندما نلقي نظرة على ما يحدث الآن في مدينة دبي سوف نتأكد أن هناك تحولات جديدة **Paradigm shift** تعبر عنها النقلات الاستثمارية الكبيرة التي تعيشها المدينة. دون شكل هذه الاستثمارت العملاقة سوف توجد بيئات عمرانية أكثر تعقيداً من التي عاشتها المدينة في عقد التسعينيات من القرن الماضي ومطلع القرن الواحد والعشرين؛ إذ يبدو أن الفضاء الاستثماري للمدينة وتحول محتوياتها وأمكنتها إلى سلعة ذات قيمة كبيرة كرس المفهوم الرأسمالي الذي أصبح لايكتفي بحدود معينة للاستثمار بل إن المدينة صارت تبدل نفسها فتهدم الأجزاء القديمة التي بنيت بحسب قواعد استثمارية قديمة وتحل محلها مبانٍ عملاقة (كما سنشاهد ذلك في مدينة أبوظبي التي بدلت جلها ثلاث مرات في عقود قليلة). من ثم أصبحت المدينة الإماراتية بلا ذاكرة، ولم يعد هناك مدينة بالمعنى الإنساني المتعارف عليه.

---

(٦٦) الشرق الأوسط، ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م.

(٦٧) جويد، دلال، (٢٠٠٣م)، دبي ٤٠٠ سنة من البريق، جريدة الخليج، ١٦ يناير ٢٠٠٣م.

(٦٨) Hywel, R. (2006), Op. cit.

يمكن أن نشعر بهذه التحولات الكبيرة في مدينة جميرا للاستشاري الجنوب إفريقي (**dsa Architects**) والاستشاري من الولايات المتحدة الأمريكية (**Creative Kingdom**) التي تجمع بين تراث المكان وعولمة المستخدم (فسكان المدينة وزوارها من كل أصقاع العالم). هذه المدينة التي صممت لتكون قرية تحمل روح عمارة المكان ومادتها، ولتستقدم قطاعات السياح الوافدين إلى مدينة دبي (الشكلان رقما ١٥ و ١٦). مركز تصميم مدينة جميرا هو تناغم الفراغات وارتباطها مع الممرات المائية؛ حيث تدرج الفراغات والإيحاءات المدهشة المتتابعة التي تنتجها للمستخدم. وتضيف الممرات المائية وروح المدينة العربية الغائرة في القدم ورحلات البحارة القدامى بعداً يضيف للمستقبل تزاوجاً يعيد التاريخ إلى المستقبل، وينقل جغرافيا مدن الشرق إلى مدينة جميرا؛ فروح القرية على ساحل البحر يعاد تشكيلها بعمل معماري من جنوب إفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية. التشكيل الخارجي للمدينة ارتبط بالمفردات والعناصر المعمارية للعمارة التقليدية المحلية الإماراتية وكذلك الإقليمية. كما شكلت الكتل المعمارية عنصراً رئيساً خاصة فندق القصر؛ فالاقتراب من القصر يعكس انطباعاً للمدن العربية القديمة وهيمنة قصر الحاكم على المكان، وأروقة المدينة تعيد للذاكرة أزقة المدينة العربية الإسلامية. ويبدو أن هذه المحاولة هي جزء من "ترميم الذاكرة" الذي تحاول دبي أن تقوم به بعد أن فقدت كثيراً من السمات الثقافية المحلية.

شكل رقم (١٥) – مدينة جميرا

شكل رقم (١٦) – فندق القصر في مدينة جميرا

وفي السياق نفسه تم الإعلان عن مدينة دبي الثقافية في مايو ٢٠٠٦م (شكل رقم ١٧). فمشروع قرية الثقافة ينفذ بواسطة شركة دبي للعقارات إحدى شركات دبي القابضة على مساحة ٤٠ مليون قدم مربع. تجمع التصاميم التي تقع على ضفاف خور دبي بين اللمسات المعمارية الحديثة والتراثية، وسيتميز المشروع بسمات مثل البراجيل، الطرقات المرصوفة بالحجارة، المنحوتات الفريدة، الممرات المائية والجسور. وتضم القرية مراكز ثقافية، مدارس، أكاديميات لتدريس الفنون والموسيقى والحرف اليدوية إضافة إلى المهن التقليدية.[٦٩] روح التصميم لقرية الثقافة تتماثل مع مدينة جميرا لتعيد إلى خور دبي ذاكرة المكان الذي صنعته منذ زمن طويل البستكية والشندقة.

شكل رقم (١٧) – مشروع القرية الثقافية

يقول (محمد العبار) رئيس إعمار التي تتولى بناء برج دبي (الشكلان رقما ١٨و١٩): إن كل ما نريد أن نقوله ببناء البرج هو: إننا هنا، لقد وصلنا[٧٠]. برج

(٦٩) جريدة الخليج، (٢٠٠٦م)، الخليج الاقتصادي، ١٣ مايو ٢٠٠٦م.

(٧٠) **Rose, Steve**. (2005), Sand and Freedom, The Guardian 28 Novemer 2005

دبي والصعود نحو الأعلى يثير دائماً تساؤلات عند الكثيرين، وكما يتساءل عنكر[٧١] "لماذا تذهب مدينة نحو الأعلى ولا تنبسط على السطح"؟ ولماذا حين تصل إلى العلو الشاهق الذي تريد لا تكتفي وتصنع ذلك السهم الذي يشق الأثير نحو فراغ المادة؟ هل هو الانبهار بالعلو؟

شكل رقم (١٨) – برج دبي

شكل رقم (١٩) – برج دبي والحي والمناطق المجاورة للبرج

وأخيراً فإن السؤال الذي يمكن أن تطرحه المشاريع الجديدة (النخلة ٣،٢،١) (شكل رقم ٢٠) ودبي رزيدنس ودبي مرينا وغيرها من المشاريع التي ستنقل دبي إلى عصر جديد من الاستثمار العقاري "الكوني"، هو كيف ستترك هذه المشاريع أثراً على مفهوم العقار في المنطقة برمتها؟ فدبي تمثل "المدينة الظاهرة" التي ما زالت جميع المدن العربية ترى فيها النموذج الذي يجب أن يحتذى، هذه الظاهرة العمرانية الفريدة أدخلت مفاهيم مختلفة للتطوير العقاري، وجعلت حتى متخذي القرار في المدينة العربية يتوقون لعمل مشابه يجعل مدنهم تكون قريبة من هذه المدينة، من نشاطها الحيوي طوال العام. أسئلة طالما

(٧١) عنكر، حكيم، (٢٠٠٦م)، يوتوبيا الكتابة في ناطحة سحاب، الخليج الثقافي، ٣٠ يناير ٢٠٠٦م.

سمعناها ونرددها هنا هي: كيف استطاعت دبي النجاح؟ لماذا دبي وليس غيرها؟ ما الإجراءات التي اتخذتها حكومة دبي حتى جعلت هذه المدينة مدينة "كونية بحق"؟ كل هذه الأسئلة نرددها بالإضافة إلى أسئلة أخرى نرددها في أنفسنا هي: هل دبي هي النموذج الذي يجب أن يحتذى؟ هل لهذه المدينة مستقبل حقيقي؟ هل توفر هذه المدينة الغطاء الاجتماعي الذي يجب أن توفره المدن لسكانها؟ (شكل رقم ٢١).

شكل رقم (٢٠) – نخلة جميرا

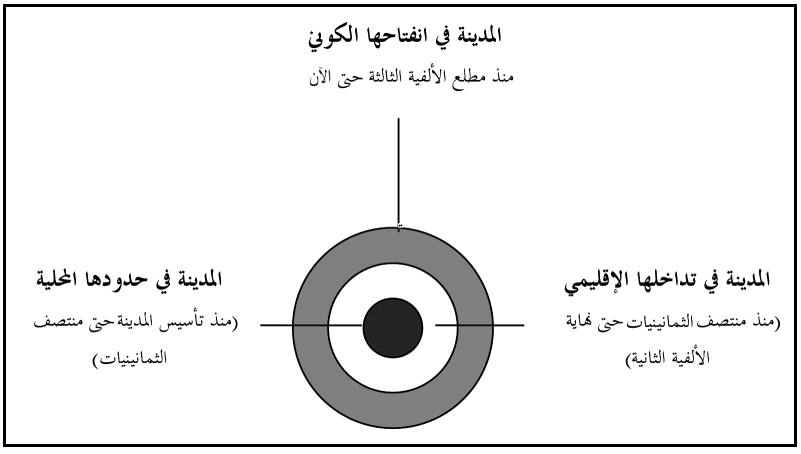

شكل رقم (٢١) – التأثير المدني (مثال دبي)

٣-٢- بين المعنى السياسي والشكل الاقتصادي - أبوظبي:

على مر السنوات كان "كورنيش" أبو ظبي رمزاً للحداثة والتغير، وتغير خط السماء كان سمة دائمة لازمت "الكورنيش" من منتصف الستينيات حتى الحاضر. مبانٍ كثيرة ارتبطت بذاكرة المكان - كورنيش أبو ظبي - بعضها ترك المكان (أزيل واستبدل به مبانٍ جديدة) والبعض مازال شامخاً والبعض يتشكل الآن في المكان. في عقد الأربعينيات والخمسينيات كانت مباني الجص والمرجان ذات الطابقين تسيطر على المكان، من أبرزها مبنى الجمارك. وفي عقد الستينيات بدأت المباني الحديثة ذات الأدوار المتعددة تشكل خط السماء حيث مبنى فندق الشاطئ على الجهة الشمالية الشرقية الذي حل محله فندق الشيراتون الآن الذي يطل كقلعة من قلاع الصحراء القديمة مع لون رمال الصحراء.

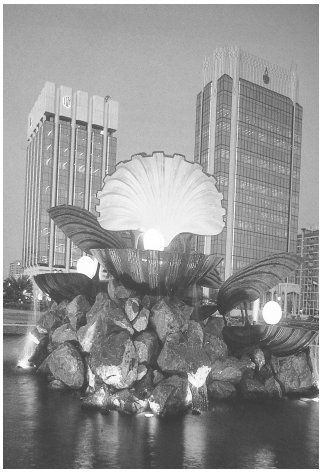

شكل رقم (٢٢) - مبنى بنك الاعتماد والتجارة - حالياً بنك الاتحاد الوطني (يسار الصورة) ومبنى صندوق النقد العربي

في منتصف السبعينيات كان البرج الزجاجي لبنك الاعتماد والتجارة الدولي (حالياً بنك الاتحاد الوطني) للاستشاري **Fitzroy Robinson and Pattern** يتوسط "الكورنيش" ليكون أعلى مبنى على "الكورنيش" والمدينة. المبنى كان خروجاً عن المألوف في ذلك الوقت حيث الاستخدام المكثف للزجاج في الواجهات الأربع في مدينة صحراوية، فقد مثل لون الزجاج الأزرق للمبنى رمزاً للبحر. لقد وصفت دورية **RIBA** المبنى بأنه تحدٍّ جديد للتقنية المحلية.(٧٢) الزجاج المستخدم كان من ثلاث طبقات، وقد كان هذا تحدياً جديداً في وقته لتقنيات التكييف. المبنى المكتبي كان إضافة متميزة لخط سماء الكورنيش، وكان بداية الاستخدام المكثف للزجاج في واجهات مباني المدينة (شكل رقم ٢٢).

(٧٢) **Abu Dhabi**. (1978), RIBA,Nov 1978

في الجهة الشمالية الغربية من الكورنيش يقف مبنى شركة بترول أبو ظبي الوطنية للبترول–أدنوك (شكل رقم ٢٣). الأقواس المدببة والتشكيلات الزخرفية للألمنيوم تعكس الرغبة في التواصل مع مفردات العمارة المحلية، وتعيد لإنسان المنطقة عناصر معمارية كانت تميز مباني الواجهة البحرية لمدينة أبو ظبي. في السبعينيات كذلك تم بناء مسجد "الكورنيش" وبرج الساعة، حيث أربعة صقور تحمل الساعة لتشكل دلائل مميزة في ذاكرة المكان. في الثمانينيات كانت قمم المباني ترتفع أكثر، بالقرب من مبنى بنك الاعتماد والتجارة الدولي كان مبنى جديداً مكتبياً ينطلق إلى سماء المدينة متجاوزاً ارتفاع بنك الاعتماد ومبنى صندوق النقد العربي الذي يظهر كبرج زجاجي بلون الذهب (شكل رقم ١٨).

شكل رقم (٢٣) – مبنى شركة بترول أبوظبي الوطنية– أدنوك

كانت المباني على "الكورنيش" تتسابق بالارتفاع؛ حيث الإطلال المباشر على البحر يشكل مصدر جذب للمكاتب والسكن، وزيادة الارتفاع كانت بالتأكيد زيادة في العوائد، فتشكلت أبراج عدة في عقد الثمانينيات منها برج "الكورنيش" للاستشاري المجموعة الاستشارية المعمارية و مبنى جهاز أبو ظبي للاستثمار (شكل رقم ٢٤)، حيث اختفت الواجهات الزجاجية وكانت الستائر الخرسانية معالجة معمارية للمناخ الحار. البرج الفضي كان إضافة جديدة بواجهاته الزجاجية ذات اللون الفضي (شكل رقم ٢٥)

وكذلك مبنى غرفة تجارة وصناعة أبو ظبي (شكل رقم ٢٦). برج بني ياس للاستشاري ديوان كان إضافة إلى المكان بمحاكاته للمقرنصات في الواجهات ولون زجاجه البنفسجي، اللون الذي ارتبط بمدينة العين (شكل رقم ٢٧).

شكل رقم (٢٤) – برج الكورنيش ومبنى جهاز أبوظبي للاستثمار

شكل رقم (٢٥) – البرج الفضي

شكل رقم (٢٦) – مبنى غرفة تجارة أبوظبي

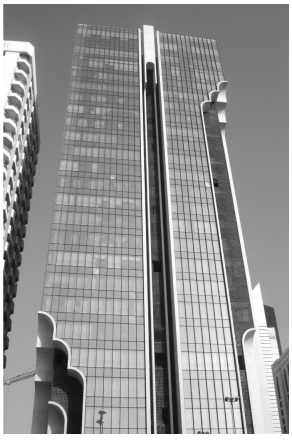

شكل رقم (٢٧) – برج بني ياس

من الواضح أن مدينة أبوظبي استفادت من الثروات الهائلة التي وفرتها لها عوائد النفط، فعلى الرغم من أن هذه المدينة لم تنفتح "رأسمالياً" على المشاريع العملاقة كما هو الحاصل في مدينة دبي إلا أنها بدأت مؤخراً تقتفي آثارها. لقد تحول المكان داخل العاصمة الإماراتية إلى سلعة استثمارية خصوصاً بعد القوانين الجديدة التي سنتها حكومة أبوظبي (بعد وفاة الشيخ زايد – رحمه الله) فقد أصبح للأرض قيمة، وظهر لأول مرة في المدينة ما يمكن أن نسميه تنافساً استثمارياً عقارياً سوف يغير شكل المدينة بشكل كامل في السنوات المقبلة. ربما يحق لنا أن نثير بعض التساؤلات حول مدينة أبوظبي، فهل ستتحول المدينة إلى ما يشبه دبي؟ وهل يعني هذا أن عصر المدن المتوسطة في الإمارات انتهى؟

شكل رقم (٢٨) – برج بينونة

يمكن الإشارة إلى بدايات التحول نحو الحداثة المفرطة في مدينة أبوظبي منذ التسعينيات، فقد كان برج بينونة – الذي يحمل اسم إحدى المناطق الصحراوية في إمارة أبو ظبي (شكل رقم ٢٨) – هو المبنى الذي يسيطر على خط السماء في المدينة حيث يعتبر أعلى مبنى في العاصمة أبو ظبي. وقد كان ارتفاع بينونة في الوقت الذي كان التوجس يحيط بإشكالية التوافق بين المباني العالية والظروف المناخية القاسية في شبه الجزيرة العربية. وقد اعتبر بناء بينونة للاستشاري (أركان) نقلة في التصميم والتشييد على المستوى العربي، حيث يعكس لون الزجاج الذي يغلف المبنى لون البحر الذي كان مصدراً للرزق لأهل الجزيرة لقرون من الزمن. هذا التحول يمكن مقارنته بما حدث في دبي في الفترة نفسها لولا أن دبي كانت تسير بوتيرة متسارعة وبخطط واضحة ومرسومة تتجه كلها نحو "عولمة المدينة" على عكس أبوظبي التي كانت تسعى للتعبير عن دورها الرمزي عاصمة للإمارات، فقد استخدمت العمارة

والتشكيل الحضري للمدينة للتعبير عن هذا الدور السياسي دون أن يكون هناك هدف رأسمالي واضح. المعنى هنا مختلف وذو صبغة ثقافية محضة، وهو الأمر الذي تغير في الآونة الأخيرة.

شكل رقم (٢٩) – مبنى شركة أدما وأدجاز

يمكن اعتبار مباني شركات البترول كذلك إضافات نوعية إلى الواجهة البحرية. فمباني مكاتب شركتي (أدما) العاملة و(أدجاز) للاستشاريين **Jung/Braen and Ove Arup** من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة من المباني التي جمعت بين التقنية الحديثة والمناخ القاسي للمكان (شكل رقم ٢٩).(٧٣) المبنى بواجهته الزجاجية وجدرانه من ألواح الجرانيت ارتبط مع البحر من خلال الواجهة الزجاجية ومع الأرض من خلال الحديقة العلوية، وارتبط مع مواقف السيارات والحديقة الداخلية بأشجار النخيل. فمن خلال الفراغ بين الواجهة الزجاجية والمشربيات الداخلية بارتفاع ما يقارب ٢٣ دوراً تشكل فراغ داخلي، الهدف منه توفير بيئة داخلية صديقة لمستخدمي المبنى المكتبي والتقليل من قسوة المناخ مع توفير الإطلالة المباشرة على البحر من خلال ألواح الزجاج المثبتة على قطاعات الحديد وكيبلاته. ولا يمكن هنا أن نقول سوى أن العمارة في أبوظبي خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي كانت تنحو نحو التعبير الثقافي الذي يفترض أن تقدمه العاصمة لزوارها، وهو منحى متوقع خصوصاً أن الهدف من التطوير العمراني هو بناء أبوظبي بوصفها معنى سياسياً لدولة وليدة بدأت في السبعينيات، ويفترض أن تكبر وتقوى.

(٧٣) **Ardalan, Nader** (not defined date) Innovation and Tradition: New design's relevance cultural heritage, arts & the Islamic World, No.23.

٣-٢-١- تحولات بصرية في الألفية الثالثة:

شكل رقم (٣٠) – مجمع الشيخ خليفة للطاقة

يجب أن نشير إلى أن حالة أبوظبي لم تكن مستقرة بشكل كامل من الناحية الاستثمارية، فما كان يحدث في دبي منذ مطلع التسعينيات شكل ضغطاً مستمراً على كل المدن الإماراتية والخليجية وبشكل خاص على مدينة أبوظبي المنافس الأول لدبي، وهو الأمر الذي أدى إلى تحولات كبرى تشهدها أبوظبي في الوقت الراهن. لقد بدأ خط السماء في العقد الأول من الألفية الثالثة يعيد تكوينه البصري مع إضافة ٤ مبانٍ مكتبية (شكل رقم ٣٠) لشركة بترول أبو ظبي الوطنية (أدنوك) حيث تم تسمية المباني مجمع الشيخ خليفة للطاقة للاستشاري **W.T.Aktins**[٧٤]، كما يرتفع في وسط "الكورنيش" المقر الجديد لجهاز أبو ظبي للاستثمار للاستشاري (**kohn Pederson Fox International**) الذي يعكس المسقط الأفقي للمبنى شكل سفينتين متجاورتين. فالبحر لا يزال في مخيلة سكان المكان لتكون عمارة المكان دائماً تختزل رموزاً ومعاني من البحر المحيط (شكل رقم ٣١). ويرتفع الآن مبنى لاند مارك (**Land Mark**) للمعماري سيزر بيليه ليكون أعلى مبنى على "كورنيش" أبوظبي (شكل رقم ٣٢). حيث يرتفع المبنى ٣٣٠ بما يعادل ٨٠ دوراً ليشكل إضافة جديدة لخط السماء في "كورنيش" أبوظبي.[٧٥]

(٧٤) أخبار أدنوك، (٢٠٠٦م)، يناير ٢٠٠٦م.

(٧٥) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، ١٩ يونيو ٢٠٠٦م.

شكل رقم (٣١) – مبنى جهاز أبوظبي للاستثمار الجديد

شكل رقم (٣٢) – مبنى لاند مارك

وفي الجانب الجنوبي من "كورنيش" أبوظبي يقف قصر الإمارات مبنى فندقياً ومركزاً لاستضافة مؤتمرات دولة الإمارات الرسمية. ويرتبط المبنى رمزاً لمدينة أبوظبي. وإذا كان تاج محل في الهند وبرج إيفل في باريس وبرج الحرية في نيويورك تمثل رموزاً لهذه المدن، فقصر الإمارات هو رمز يقترن بأبوظبي بفخامته وروعة جماله.(٧٦) قصر الإمارات الذي صممه مكتب (**WATG**) ارتبط بالعمارة الكلاسيكية العربية والإسلامية من خلال استخدام مكثف للعناصر المعمارية التقليدية هدفاً إلى محاولة الربط بالتراث العربي والإسلامي*. كما عمد المصمم إلى استخدام تشكيلات كتلية مشابهة للقصور العربية القديمة لإعطاء إيحائها (شكل رقم ٣٣).

(٧٦) جريدة الخليج، (٢٠٠٥م)، ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م.

* Wimberley Allison & Goo

شكل رقم (٣٣) – قصر الإمارات

"كورنيش" أبو ظبي لا يزال مكاناً تشكلت فيه وتتشكل حوله بيئة معمارية سكنية فخمة ومكتبية تشكل التكوين البصري المركزي للمدينة بوصفها عاصمة للسياسة والنفط والمال والتجارة. فالمكان لوحة بنورامية تزاحمت فيها المباني لكبريات بيوت التصميم العربية والعالمية تحاول الربط من خلال تصميم المباني بين قيم المكان وتقنية الزمان. أصبحت مباني "الكورنيش" رموزاً للمدينة الحديثة وعمقاً بصرياً لمفهوم المعاصرة في المدينة الإماراتية الحديثة.

كما أن "كورنيش" أبوظبي يبدو كأنه مكان تتشكل فيه العمارة الرأسمالية التي تظهر في مناطق متفرقة من المدينة، ففي شارع خليفة يقف مبنى بنك أبوظبي الوطني للمعماري (كارلوس أوت). المبنى ذو كتلة من الجرانيت الأسود في جزئه الأسفل ينطلق من بعده الميني الزجاجي إلى أعلى السماء. وفي الجانب الشمالي الشرقي من المدينة يقف مبنى أبوظبي مول للاستشاري الأمريكي (**HOK**)، وفي الجانب الجنوبي الغربي من الجزيرة تشيد أبراج الخالدية لائتلاف الاستشاري بينونة والبياتي. المشروعان يعكسان جانباً قوياً من العمارة الحديثة التي توجه التشكيل المعماري المستقبلي لمدينة أبوظبي.

٣-٢-٢- منطلقات رأسمالية في عمارة أبوظبي:

إذا ما نظرنا إلى البيئة العمرانية بوصفها مولداً للمعاني الجديدة فإن كل تغيير يحدث في هذه البيئة يعني تغييراً في منظومة المعاني التي يفسرها الناس عادة في زمن ومكان محددين. في أبو ظبي حدثت تحولات عميقة في البيئة العمرانية في بداية الألفية الثالثة، كانت تستلزم استبدال منظومة المعاني أو على الأقل تغييرها، وهو ما حدث عندما بدأ يظهر اسم "أبو ظبي الجديدة" على الرغم من أن مدينة أبو ظبي كلها جديدة. قد يقصد بمصطلح أبو ظبي الجديدة شكل مدينة أبو ظبي في السنين العشر أو العشرين القادمة. فأبو ظبي – كما يؤكد الشيخ محمد بن زايد ولي عهد أبو ظبي – على موعد مع قصة نجاح جديدة تتجاوز ما تحقق بفضل النفط والغاز.(٧٧) ويؤكد ولي عهد أبوظبي أنه لن يكون هناك منافس اقتصادي لدولة الإمارات في المنطقة خلال الـ ٢٥ سنة القادمة، حيث تعيش الدولة حالة من الاستقرار والنمو الاقتصادي لا مثيل لها.(٧٨) هذه الإشارات التي يبعثها مسؤول بحجم ولي عهد أبوظبي تعطي تأكيدات للمضي قدماً نحو الاستثمار العقاري والتشكيل الجديد لمدينة أبو ظبي وهو ما يعني أن مصطلح "أبو ظبي الجديدة" هو صورة متخيلة لم تتشكل بعد، لكنها في طريقها للتشكل خصوصاً مع البدايات الأكيدة لعصر الاستثمار العقاري العملاق في الإمارة.

فالمشاريع المستقبلية تنبئ بزخم معماري ونمط عمراني متسارع سوف يغير ملامح المدينة المتجددة منذ ستينيات القرن العشرين. فالإمارة سوف تستثمر خلال السنوات الأربع أو الخمس المقبلة نحو ١٠٠ بليون دولار في مشاريع عملاقة، بينها مطار جديد يستوعب ٢٠ مليون مسافر سنوياً، وميناء عالمي في منطقة الطويلة، ومجمعات سكنية في جزر الريم و اللولو وجزيرة السعديات وشاطئ الراحة، وستتوافر لهذه المجمعات مرافق تجارية وترفيهية وفنادق ومنتجعات سياحية، وشبكة حديثة من الطرق والجسور والمستشفيات والمدارس.(٧٩)

---

(٧٧) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، الاقتصادي ٩ مايو ٢٠٠٦م.

(٧٨) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، ٢ أبريل ٢٠٠٦م.

(٧٩) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، ٩ مايو ٢٠٠٦م.

يأتي تطوير جزيرة السعديات بهدف تنويع مجالات النشاط الاقتصادي بما يعزز طموح أبوظبي لتصبح مركزاً إقليمياً ودولياً للاستثمار والسياحة، ويرى الشيخ محمد بن زايد ولي عهد أبوظبي أن جزيرة السعديات تمثل خطوة مهمة في سياسة الانفتاح الاقتصادي الذي تعيشه إمارة أبوظبي، تؤكد للعالم أن أبوظبي تفتح ذراعيها للشراكة والتعاون الاقتصادي مع العالم على مختلف الأصعدة. وسوف يتم تطوير الجزيرة على ثلاث مراحل في الفترة من ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٨ حيث يتوقع أن تستوعب نحو ١٥٠ ألف نسمة عند اكتمال المشروع (شكل رقم ٣٤). فالجزيرة سوف تصبح علامة مميزة لإمارة أبوظبي مثل جزيرة " سنتوزا" في سنغافورة، وجزيرة "كابري" في إيطاليا. وستتألف الجزيرة من ست مناطق تتصف كل منطقة بطابع مميز وسمة مميزة مثل المنطقة الثقافية، المارينا، شاطئ السعديات، الشاطئ الجنوبي، السعديات بارك، والمحمية الطبيعية.(٨٠)

شكل رقم (٣٤) – المخطط التوجيهي لجزيرة السعديات

(٨٠) البيان الاقتصادي، (٢٠٠٦م)، جريدة البيان، ٢٥ أبريل ٢٠٠٦م.

كما ستضم الجزيرة متحفاً من مجموعة (**Guggenheim**) جوجنهايم سيكون من تصميم المعماري الأمريكي (فرانك جيري) **Frank Gehry**. وسيكون المتحف – طبقاً لجريدة الجارديان البريطانية – إضافة فنية عالمية ليس إلى الإمارات فقط ولكن إلى الشرق الأوسط كله، فتصميم (جيري) لن يكون مستورداً ولكن سوف يرتبط بالمكان، سوف يرتبط بلون ماء الخليج الأزرق ولون رمال الصحراء. إضافة المتحف إلى الجزيرة سوف يمثل إضافة جديدة بوصفه مركزاً ثقافياً في المنطقة، إنه سيكون إضافة إلى المناخ المتحرر في أبوظبي.(٨١)

٤ – بين رسملة المدينة والمدينة الرأسمالية:

أحد أهداف هذه الدراسة هو تأكيد التحولات الفكرية المرتبطة بالعمارة الإماراتية المعاصرة والمعاني التي يمكن أن تتولد من هذه التحولات، وما يمكن أن نقف عنده هو ظهور شركات التطوير العقاري العملاقة بوصفها أحد أهم اللاعبين المؤثرين في تشكيل البيئة العمرانية للمدينة الإماراتية. في السابق كان التنافس على تشكيل البيئة العمرانية محصوراً بين الدولة (القطاع العام) والأفراد وجزئياً بين القطاع الخاص والشركات، أما في الفترة الحالية فقد تقلص دور القطاع العام وتراجع دور الأفراد وتصاعد دور الشركات بوصف ذلك إحدى علامات العولمة ورسملة المدينة. في اعتقادنا أن المعاني التي أحدثتها الشركات العقارية حولت المدينة في أذهان الناس إلى فضاء للمضاربات العقارية، وأصبح مفهوم "العائد الاستثماري" طاغياً على "العائد الإنساني" و "العائد الثقافي". هوية المدينة في هذه الحالة أصبحت مجزأة على هويات متعددة، تمثلها الشركات الكبرى وما يصنع التفاعل المباشر بين الناس (سكانها) والبيئة المادية حولهم.

يمكن تشخيص هذه الحالة مع بداية تأسيس شركة إعمار التي أخذت دوراً

---

(٨١) **Goldenberg, S**. (2006), Guggenheim to build museum in Abu Dhabi, The Guardian, 10 July 2006.

رئيساً في تشكيل المدينة الإماراتية. فشركة إعمار التي تأسست سنة ١٩٩٧م أخذت دوراً مميزاً في تشكيل العمارة في دبي. فالشركة – من خلال استقطابها للشركات الاستشارية العالمية لتصميم مشاريعها – أوجدت ثقافة عمرانية لم تكن غريبة بالكامل عن المجتمع الإماراتي، لكنها مثلت نقلة كبيرة لم يكن المجتمع ولا المدينة مستعدين لها استعداداً كاملاً؛ الأمر الذي فتح بعداً جديداً للشركات الاستشارية والمعماريين العالميين، وهو ما يمكن ملاحظته من خلال الشركات التي تأسست فيما بعد، وسارت على النهج نفسه الذي ابتدعته شركة إعمار. فشركة إعمار ابتدعت مفهوم توفير خدمات عقارية ذات أحجام كبيرة، لأول مرة في المنطقة. فمشروع تلال الإمارات، مثلاً، للاستشاري (**WATG**) وأبراج مرسى دبي للاستشاري (**HOK**) كان انطلاقة لمشاريع عقارية عملاقة تشكل نمطاً جديداً في تشكيل العمارة العقارية في الإمارات والخليج العربي.

شكل رقم (٣٥) – شاطئ الراحة

شكل رقم (٣٦) – واجهة شاطئ الراحة

أما شركة الدار العقارية في أبوظبي فقد تأسست سنة ٢٠٠٤م، وهي مؤسسة بنت رؤيتها على أن تكون الأكثر إبداعاً في قطاع التطوير العقاري. ويعتبر مشروع تطوير شاطئ الراحة في أبوظبي من أهم مشاريع الشركة، حيث سترتفع بعض المباني إلى ٦٠ طابقاً. ومن المتوقع أن يصل عدد سكان المنطقة بعد اكتمال مباني تشييد الشاطئ إلى ١٢٠٠٠٠ نسمة. ويعتمد مفهوم شاطىء الراحة على تعزيز الواجهة البحرية لمدينة أبوظبي واستحداث بوابة جديدة عالمية المواصفات لها (الشكلان رقما ٣٥ و٣٦). وسيكون الشاطىء مركزاً جديداً لمدينة أبوظبي يربط بين المطار وجزيرة السعديات. كما ستطور الشركة سوق أبوظبي المركزي حيث يحتوي المبنى

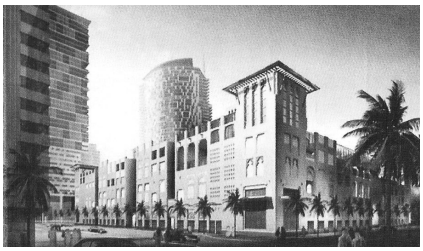

شكل رقم (٣٧) – السوق العربي

شكل رقم (٣٨) – السوق المركزي المقترح

شكل رقم (٣٩) – جانب من جزيرة الريم المزمع تطويرها بالقرب من مدينة أبوظبي

المقترح الذي وضع تصاميمه الاستشاري (RTKL) أربعة أبراج بارتفاع ٣٥ طابقاً.[٨٢] الأبراج الأربعة تعكس العمارة الكونية (شكل رقم ٣٧)، أما الجانب الآخر من السوق، وهو السوق العربي؛ فهو يعكس عمارة ما بعد الحداثة. فالسوق العربي يهدف إلى إعادة إبراز العناصر التراثية المعمارية للعمارة العربية والإسلامية[٨٣] (شكل رقم ٣٨). هنا نجد اتجاهين في العمارة تحاول شركة الدار الجمع بينهما في السوق المركزي الجديد.

كذلك، فإن شركة صروح العقارية في أبوظبي ترتكز فلسفتها على قوة الخيال والإبداع، ولا تقتصر على توفير أبنية جميلة فقط لكن تمتد إلى تقديم أسلوب حياة ونمط عيش[٨٤]. وقد أعلنت الشركة عن مشروع بوابة شمس أبوظبي (شكل رقم ٣٩) بتكلفة ١٠ مليارات درهم على جزيرة الريم بالقرب من مدينة أبوظبي (شكل رقم ٤٠). ويتكون المشروع من ٨ أبراج من بينها برج (سكاي تاور) (شكل رقم ٤١) بارتفاع ٨٣ دوراً ليكون البرج الأعلى في

(٨٢) شركة الدار العقارية، (٢٠٠٥م)، سيرة الشركة.

(٨٣) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٥م)، الاتحاد الاقتصادي، ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م.

(٨٤) الحياة بتوازن أمثل، كتيب تعريفي لشركة صروح.

أبوظبي[٨٥]. وتستمد روح مخطط المشروع من القنوات المائية لمدينة البندقية الإيطالية؛ حيث يتم الانتقال بين جوانب المدينة باستخدام التاكسي المائي.

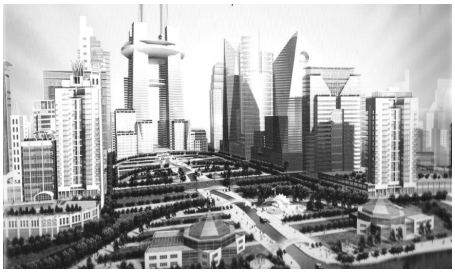

شكل رقم (٤٠) – مشروع شمس أبوظبي

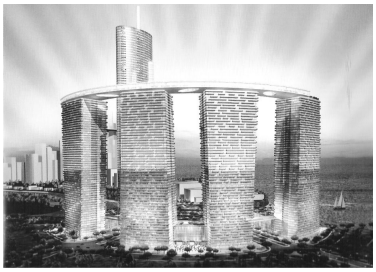

شكل رقم (٤١) – مبنى سكاي تاور

وستبدأ شركة ريم للاستثمار كذلك في مشروع (نجمة أبوظبي) على جزيرة الريم بتكلفة ٣٠ مليار درهم. وسيوفر المشروع أسلوب حياة عصرياً فريداً يستلهم المستقبل ويستوعب ٨٠٠٠٠ نسمة عند اكتماله سنة ٢٠١٢م.[٨٦] وتتألف نجمة أبوظبي من ثلاث مناطق، هي منطقة الأعمال، منطقة الفنون، والقرية، تتكامل هذه المناطق لتكون مجتمعاً مستقلاً بحد ذاته.[٨٧]

دون شك، فإن التسليم بوجود "هويات متعددة لا هوية واحدة" ستكون حاضرة في المدينة الإماراتية في المستقبل؛ فكل شركة عقارية تمثل عالماً له شخصيته وله أهدافه وفي الوقت نفسه له تأثيره العميق على البيئة العمرانية، وسيكون من الصعب جداً أن تتفلت المدينة الإماراتية من هذا التأثير الذي سيجزئها بصرياً وفراغياً إلى مجموعات تعبر عن فكر هذه الشركات وفلسفتها. على أن السؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا ونتركه مفتوحاً هو هل نحتاج فعلاً إلى أن تكون المدينة بهوية واحدة؟ هذا السؤال يظل مهماً في وقتنا الحالي كون معنى المدن نفسه تغير خصوصاً مدن العولمة التي كرست مفهوم "التنافر"

(٨٥) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، ٢ أبريل ٢٠٠٦م.
(٨٦) جريدة البيان، (٢٠٠٦م)، البيان الاقتصادي، ٢٣ مارس ٢٠٠٦م.
(٨٧) جريدة الخليج، (٢٠٠٦م)، الخليج الاقتصادي، ٢٣ مارس ٢٠٠٦م.

الذي يجب أن تجمعه المدينة؛ أي أن كل مدينة يمكن أن تحتوي على مجموعات عمرانية، كل مجموعة منسجمة من الداخل وهذا لايقتضي بالضرورة أن تكون المجموعات منسجمة فيما بينها، الأمر الذي يعني إمكانية أن تستوعب المدينة المعاصرة عدة هويات داخلها.

٥ – الخلاصة – مأزق الهوية وتناقضات الشكل والمعنى:

إن الصيغ البصرية الخارجية التي تبناها المعماريون في الإمارات بشكل عام تعبر عن القلق الثقافي الذي بدأ يكتسح المنطقة. يشير الدكتور عبدالخالق عبدالله في مقال بعنوان "الحالة النفسية للمواطن الإماراتي" إلى أن تدفق المشاريع العمرانية العملاقة على امتداد الإمارات يجعل المواطن سعيداً كل السعادة وخائفاً كل الخوف. فكل مواطن يشعر بالحيرة وتتنازعه مشاعر متباينة تجاه الطفرة العمرانية. فكل مبادرة عمرانية عملاقة هي مبادرة مفرحة ومخيفة. فالمواطن يموت فرحاً ويموت خوفاً تجاه كل مشروع عقاري جديد يحطم الرقم القياسي العالمي. لقد حصل المواطن الإماراتي على كل شيء بيد أنه أصبح أيضاً على وشك أن يفقد كل شيء، ففي الوقت الذي أصبح فيه على وشك أن يبلغ العالمية أصبح على وشك أن يفقد المحلية.(٨٨)

فهناك قلق من فورة العمارة والعمران خصوصاً القلق على هوية العمارة المحلية بعد التغيرات الكبيرة التي واكبت الطفرة الاقتصادية في سبعينيات القرن العشرين. مما حدا بالبعض إلى البحث عن عناصر عمرانية يمكن – في اعتقادهم – أن تمثل النواة الثقافية البصرية التي تعمل كجهاز للمناعة في مواجهة ثورة الصور البصرية التي تنتجها نظم الاتصال العالمية في وقتنا المعاصر والتي، حتماً، ستؤثر على القيم البصرية المحلية. فالإمارات طبقاً لمؤشر العولمة (كوف) حلت في المرتبة الأولى على المستوى العربي والـ ٢١ على المستوى العالمي.(٨٩)

---

(٨٨) عبدالله، عبدالخالق، (٢٠٠٦م)، الحالة النفسية للمواطن في الإمارات، جريدة الخليج، ٢٣ مايو ٢٠٠٦م.

(٨٩) جريدة الاتحاد، (٢٠٠٦م)، ٢١ يونيو ٢٠٠٦م.

والذي يظهر لنا أن هذا القلق مسوغ، ويجعلنا نطرح فرضية مفادها أنه إذا كنا نرغب في المحافظة على لغتنا العمرانية المشتركة والمفهومة محلياً فإنه يجب أن نبدأ في إبراز هذه النواة وجعلها ضمن أولوياتنا حتى تقوم بدورها بل حتى لا تندثر وتفنى فنخسر الفرصة لبناء ثقافة عمرانية محلية. ولعل النموذج الذي وضعه (فلفلن) **Wolfflin** (الشكل الخارجي/ المحتوى الضمني) الذي يعتبر الأشكال المعمارية مستقبلات توضع فيها المحتويات الفكرية والمعنوية التي تعبر عن معانٍ محددة لا يقصد فقط أن الشكل المعماري هو مجرد وسيلة توصيلية دون هدف نفعي غائي، فكثير من الأشكال ذات الهدف النفعي المحض تحولت مع الزمن وعبر التهذيب المستمر ومن خلال تعمق علاقة الإنسان معها إلى أشكال رمزية ذات معنى خاص.

ينتقد بعض المعماريين مثل (زها حديد) التوجه للماضي، فالبناء على النمط القديم يكتسب صيغة فولكورية غير عريقة[٩٠]، وهو ما يجعل فكرة بناء هويات بصرية تستمد حضورها من الأشكال القديمة مسألة غير مجدية كونها هويات مزيفة، بينما يظل المأزق الحقيقي هو هذا التسارع العمراني غير المسبوق الذي يحركه الحافز الرأسمالي الذي يجعل من الشكل المجرد "الدعائي" هاجساً تطويرياً بصرف النظر عن المعاني التي يمكن أن يستخلصها الناس منه، فقد وضع المستثمرون في اعتبارهم أن المعنى يمكن أن يتطور بعد ذلك وأن المجتمع سوف يبتكر معانيه الخاصة التي يفسر بها الأشكال الجديدة، وأنه سوف يتغير كي يتناسب مع الأشكال العمرانية الجديدة التي أحدثتها وستحدثها المشاريع الجديدة.

صراع الرأسمالي/الثقافي في العمارة الإماراتية المعاصرة يشير إلى تحول عميق في المجتمع الإماراتي والخليجي، ويؤكد أن المنطقة مقبلة على تحولات مجتمعية كبيرة؛ إذ إن العمارة لاتمثل الشكل فقط بل تدل على المجتمع وما يحدث داخله من تغيرات. والواضح أن المجتمع الخليجي بشكل عام يستعد لنقلة جديدة تفوق النقلة الأولى التي عاشها في الستينيات والسبعينيات من

(٩٠) الشرق الأوسط، ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م.

القرن الماضي عندما تحولت المجتمعات الخليجية من مجتمعات ومدن بسيطة إلى مجتمعات ومدن مركبة ومعقدة. النقلة الجديدة سوف تنقل هذه المجتمعات والمدن إلى العولمة وسوف تفتحها على العالم بشكل غير مسبوق، وهو الأمر الذي يثير المخاوف نفسها التي طرحها الدكتور عبدالخالق عبدالله حول "المحلية" وضياعها خصوصاً في ظل الخلل الكبير في التركيبة السكانية وهشاشة البنية المحلية من الناحية الثقافية التي نعتقد أنها لن تقاوم مد العولمة الكاسح.

قائمة المراجع

أولاً – المراجع العربية:

- **أكبر، سمير**، (١٩٩٥م)، "الرأسمالية من حيث لاندري"، مجلة جامعة الملك سعود (العمارة والتخطيط)، المجلد السابع، ص ص ٣–٢٦.
- **الأسود، حافظ**، (أبريل ١٩٩٥م)، "رموز محورية في تراث الإمارات العربية المتحدة"، المأثورات الشعبية، السنة العاشرة، العدد الثامن والثلاثون، ص ص ٧–٢٦.
- **الأمبابي، عبدالواحد**، (١٩٧٦م)، الشارقة اليوم، مركز الثقافة، بلدية حكومة الشارقة.
- **بلدية دبي**، (١٩٨٦م)، مخطط التنمية الشامل لإمارة دبي، الأوضاع القائمة، تقرير رقم ٢ (المجلد ٢)، وضع بالتعاون مع مشروع الأمم المتحدة من قبل إدارة تخطيط المدن ببلدية دبي، مؤسسة دوكسيادس العالمية.
- **البيان الاقتصادي**، ٧ فبراير ٢٠٠٦م، ٢٣ مارس ٢٠٠٦م، ٢٥ أبريل ٢٠٠٦م، ١٢ مايو ٢٠٠٦م.
- **جدو، ينار حسن**، (١٩٩٣م)، المذاهب الفكرية الحديثة والعمارة: بحث في مناهج النقد المعماري، دار الطليعة، بيروت، لبنان.
- **جريدة الاتحاد**، الاتحاد الاقتصادي، (١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م)، (٩ مايو ٢٠٠٦م)، (٢ أبريل ٢٠٠٦م)، (١٩ يونيو ٢٠٠٦م)، (٢١ يونيو ٢٠٠٦م).
- **جريدة الخليج**، (١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م)، (٢٣ مارس ٢٠٠٦م)، الخليج الاقتصادي ١٣ مايو ٢٠٠٦م.
- **جويد، دلال**، (١٦ يناير ٢٠٠٣م)، دبي ٤٠٠ سنة من البريق، جريدة الخليج.
- **حيدر، قادري أحمد**، (يناير ٢٠٠٥م)، "العولمة ومسألة الهوية: قراءة

فكرية ثقافية"، في كتاب قضايا فكرية، الكتاب الحادي والعشرون، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ص ٣٩٣-٤١٣.

- **حيدر، مشرق علي**، (١ يونيو ٢٠٠٥م)، دبي إمبراطورية الثراء اللانفطي، البيان الاقتصادي.
- **دائرة تخطيط المدن، أبوظبي** (١٩٩٢م)، مخطط التطوير الشامل لأبوظبي، التقرير الفني الخامس، التنفيذ، دبليو أس أتكنز وشركاه لما وراء البحار.
- **الحياة بتوازن أمثل**، كتيب تعريفي لشركة صروح.
- **الذوادي، محمود**، (يناير/ مارس ١٩٩٧م)، "في الدلالات الميتافيزيقية للرموز الثقافية، عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، ص ص (٩ - ٤٣).
- **الزعبي، علي زيد**، (صيف ٢٠٠٦م)، "المدينة والعولمة: قراءة تحليلية"، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد ٩٥، السنة ٢٤، ص ص ١١-٤١.
- **زيادة، معن** (محرر)، (١٩٨٦م)، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ص ص ٥٠٠-٥٠٥.
- **الشرق الأوسط**، ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م.
- **شركة الدار العقارية**، (٢٠٠٥م)، سيرة الشركة.
- **شمسان**، (٢١ فبراير ٢٠٠٥م)، رحلة من صنعاء إلى لندن.. عبر إمارات البذخ والعوز، القدس العربي.
- **الشيخ، عصام**، (٣١ مايو ٢٠٠٦م)، بوادي الشرق -لاس فيغاس الشرق، جريدة الشرق الأوسط.
- **الطنيجي، عبيد بن أحمد**، (٢٢-٢٣ مايو ٢٠٠١م)، مشروع تأصيل العمارة الإسلامية في الشارقة، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة العمارة الإسلامية بين الفكر والتطبيق، الشارقة.

- **عبدالله، عبد الخالق**، (يناير ٢٠٠٦م)، دبي: رحلة عربية من المحلية إلى العالمية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢٣، السنة الثامنة والعشرون.
- **عبدالله، عبدالخالق**، (٢٣ مايو ٢٠٠٦م)، الحالة النفسية للمواطن في الإمارات، جريدة الخليج.
- **عبدالله، عصام الدين إبراهيم**، (يوليو، أكتوبر ١٩٩٨م)، "العصا: دراسة في الثقافة المادية"، المأثورات الشعبية، العددان ٥١،٥٢، ص ص ٥٩-٦٥.
- **العليان، خالد بن أحمد**، (١٩٩٤م)، البيوت القديمة في محافظة ظفار، روى، المطابع العالمية، سلطنة عمان، ص ٢٥.
- **عنكر، حكيم**، (٣٠ يناير ٢٠٠٦م)، يوتوبيا الكتابة في ناطحة سحاب، الخليج الثقافي.
- **غليون، برهان**، (١٩٩٩م)، حوار أجراه محمود حيدر، مجلة العلوم الاجتماعية (٢٧)، العدد ٢.
- **المكتوم، محمد بن راشد**، (٢٠٠٦م)، رؤيتي: التحديات في سباق التميز. دار موتيڤيت للنشر، دبي.
- **المنصوري، محمد عبدالله والنعيم، مشاري عبدالله**، (أبريل ٢٠٠٥م)، "العمارة الحديثة في الإمارات: دراسة لبداية التحول في المدينة الإماراتية قبل تأسيس الدولة"، مجلة العمارة والتخطيط، جامعة بيروت العربية، المجلد ١٦، ص ص ٨٣.
- **النعيم، مشاري عبدالله**، (١٩٩٨م)، "القيمة البصرية لملاقط الهواء في العمارة الخليجية المعاصرة" القافلة، مجلد ٤٧، عدد١.
- **النعيم، مشاري عبدالله**، (يناير، أبريل ١٩٩٩م)، "ملقف الهواء في العمارة الخليجية: أشكالية الشعبي - الكوني"، المأثورات الشعبية، العددان ٥٣/ ٥٤، ص ص ٤١-٦٥.
- **النعيم، مشاري عبدالله**، (٧-٢٨ أبريل ١٩٩٩م)، " أزمة الهوية في

المدينة الخليجية المعاصرة: دراسة لبعض الخصائص البصرية للعمارة الخليجية"، ورقة قدمت لمؤتمر التخطيط والتنمية العمرانية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جامعة قطر.

- **النعيم، مشاري عبدالله**، (أكتوبر، نوفمبر ٢٠٠٤م)، "الثابت والمتحول: نحو نظرية نقدية للعمارة العربية"، البناء، العددان ١٧٠-١٧١، ص ص ١٥٤-١٦١.
- **النعيم، مشاري عبدالله**، (٢٠٠٥م)، العمارة والثقافة: دراسات نقدية في العمارة العربية، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض (١٣٧).
- **النعيم، مشاري عبدالله والمنصوري، محمد**، (أبريل - يونيو ٢٠٠٦م)، "تشكيل المدينة الحديثة وبناء الهوية الوطنية: دراسة لعلاقة السياسة بالعمارة في الإمارات العربية المتحدة"، مجلة عالم الفكر (الكويت)، العدد ٤، المجلد ٣٤، ص ص ٢٧٣-٣٠٥.
- **وزيري، يحيى حسن**، (أبريل - يونيو ٢٠٠٦م)، جماليات المفردات المعمارية في المجتمعات العربية والاسلامية: سلطنة عمان كنموذج، عالم الفكر، المجلد ٣٤.
- **ويلسن، جريم**، (١٩٩٩م)، راشد بن سعيد آل مكتوم، الوالد والباني، ميديا بريما، دبي.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

- Abu Dhabi. (1978), RIBA,Nov 1978.
- Al-Gurg, Easa.S. (1998), The Wells of Memory, John Murray:London.
- Al-Naim, M. (2005), Political Influences and Paradigm Shifts in The Contemporary Arab Cities: Questioning the Identity of Urban Form, CRiSSMA Working Paper N.7, Milan,, Italy, Pubblicazioni dell'I.S.U. Universita Cattolica.
- **Ardalan, Nader.** (not defined date), Innovation and Tradition: New design's relevance cultural heritage, arts & the Islamic World, No.23.

- **Belbin, C.** (2003), Foundations for Success in Identity, Issue 1, Nov/Dec 2002.
- **Broadbent, G. Bunt, R. & Jencks, C.** (Eds). (1980), Signs, Symbols, and Architecture, Chichester, John Wiley &Sons.
- **Building Design.** (2005), Hopkins rues Dubai's terrible new-buildings,no.1660,2005 Feb.
- **Eco, U.** (1980), ''Function and Sign: The Semiotics of Architecture'', In **Broadbent, G. Bunt, R. & Jencks, C.** (Eds). (1980), Signs, Symbols, and Architecture, Chichester, John Wiley &Sons, p. 11.
- **Fisk, J.** (1990), Introduction to Communication Studies, London, Routledge, p. 39.
- **Fletcher, R.** (1989), ''The Message of Material Behavior: A Preliminary Discussion of Non-Verbal Meaning'', In I. Hodder (ed) The Meanings of Things: Material Culture and Symbolic Expression, London, Harper Collins Academic, pp. 33-40.
- Goldenberg, S. (2006), Guggenheim to build museum in Abu Dhabi, The Guardian, 10 July 2006.
- **Gulf News**, 5 Januray 2006.
- **Hugo, Cathy.** (2003), Future Vision in Identity, Issue 3, April/May 2003.
- **Hywel, R.** (2006), Sprawling, souless Dubai is an architectural flop, FT, 29 May 2006.
- **Katodrytis, George. (2005),** Metropolitan Dubai and the Rise of Architectural Fantasy, Didoun Magazine, Issue 4, Spring 2005.
- **Nasar, J.** (1993), ''Connotative Meaning of House Style'', In **E. Arias** The Meaning and Use of Housing, Aldershot, Averbury, pp. 143-67.
- **O'Reilly, W.** (1999), (Ed) Architectural Knowledge and Cultural Diversity, Lausanne, Comportements.
- **Page, Richard, Adams.** (1992), Growth and Change in the Arabian Gulf: A case study of Dubai, Master Thesis, University of Texas at Austin.
- **Rapoport, A.** (1970), ''Symbolism and Environmental Design'', International Journal of Symbology (USA), Vol. I, No. 3 (April), pp. 1-10.

- **Rapoport, A.** (1982), The Meaning of the Built Environment: A Nonverbal Communication Approach, Tucson, The University of Arizona Press, p. 35.
- **Rose, Steve**. (2005), Sand and freedom, The Guardian 28 Novemer 2005.
- **The Economist**. (2004), Arabia's field of dreams, May 27th 2004.
- **Time** (2006) 8 May 2006.
- **Turner, V.** (1967), The Forest of Symbols: Aspects of Nedembu Rituals, London, Cornell University Press, pp. 50-51.
- **William, W &Jim. P**. (2006), Gulf boom spurs engineers and architects, FT,5 July 2006.